كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

السياسة اللغوية في تنزانيا
بين المأمول والواقع

إعداد

دكتور/ علي أمين اللبودي

أستاذ الأدب السواحيلى المساعد
كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة.

(العدد الأربعون)
(الإصدار الأول ـ الجزء الثالث)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

السياسة اللغوية في تنزانيا
بين المأمول والواقع

على أمين اللبودى
قسم اللغات الأفريقية ، كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة ، مصر.
البريد الإلكتروني: dralialleboudy@gmail.com

الملخص:

تنزانيا إقليم متعدد اللغات، وهذا يعني أن مستخدمي اللغة فيها يستخدمون أكثر من لغتين. وطبقاً لوزارة التعليم والثقافة التنزانية، فإن السياسة اللغوية تقسم اللغات المستخدمة في تنزانيا إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي لغات القبائل، ولغة وطنية (السواحيلية)، واللغات الأجنبية. وفي الواقع، يضع هذا التقسيم في الاعتبار مكانة اللغات أكثر من وظيفة اللغات نفسها. وقد أدى هذا التقسيم إلى أن كل فرد في المجتمع يستخدم اللغة طبقاً للبيئة ذات الصلة. وهذا يعني أن متحدثاً واحداً عادة ما يستخدم لغة في بيئة لغوية معينة، ولكنه إذا كان في بيئة أخرى؛ وجب عليه استخدام لغة أخرى. ولم تأت مسألة استخدام اللغة – مع الوضع في الاعتبار مكانة كل لغة في تنزانيا– صدفة، بل بسبب التعدد اللغوي، وقرارات السياسة اللغوية في تنزانيا. ولقد سمحت السياسة اللغوية في تنزانيا باستخدام السواحيلية، والإنجليزية، واللغات القبلية. وقد أدى هذا إلى حدوث صراع لغوي عند استخدام اللغة في المجتمع التنزاني. وهذه الدراسة تهدف إلى بيان السياسة اللغوية الرسمية في تنزانيا، كما تهدف أيضاً إلى توضيح الصراع اللغوي الناتج عن استخدام لغتين وآثاره. وستحاول إلقاء الضوء على اللغة أو اللغات المستخدمة في التعليم بمراحله المختلفة، وما إذا كانت السواحيلية هي المستخدمة أم الإنجليزية، أم اللغات

القبلية. كما تهدف إلى إظهار العقبات التي تقف حائلاً دون تعزيز اللغة السواحيلية في وسط أهلها ودون استخدامها في مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي.

الكلمات الافتتاحية:

تنزانيا، اللغوية، لغة وطنية، السياسة، لغات قبلية، لغات أجنبية، واقع.

Language Policy in Tanzania Between Expectation and Reality

Ali Ameen Alleboudy
Department of African Languages, Faculty of African Postgraduate Studies , Cairo University, Egypt.
Email : dralialleboudy@gmail.com

Abstract:

Tanzania is multilingual country. This means that language users use more than two languages. According to the Tanzanian Ministry of Education and Culture, language policy divides used languages in Tanzania into three main sections. These sections are: 1- The languages of tribes. 2- National language (Swahili). 3- Foreign languages. This division takes into consideration languages status more than languages function. This division has led to everyone in the community uses language according to the relevant environment. That means one speaker usually uses a language in a specific linguistic environment, but if he (she) is in another linguistic environment, he (she) has to use another language. This study aims to clarify the language policy in Tanzania. It also aims to clarify language conflict resulting from the use of two languages and its effects. Besides, this study will try to shed light upon used language or languages in education in its various stages, and whether Swahili is used, English or tribal languages. Also it aims to show obstacles which stand in the way of strengthening the Swahili language.

Keywords: Policy, Tanzania, Reality, linguistic, The languages of tribes, National language, Foreign languages.

مقدمة:

تنزانيا إقليم متعدد اللغات، أي أن مستخدمي اللغة فيها يستخدمون أكثر من لغتين. وطبقاً لوزارة التعليم والثقافة التنزانية، فإن السياسة اللغوية Sera ya lugha قسَّمت اللغات المستخدمة في تنزانيا إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

١- لغات القبائل Lugha za Jamii.

٢- لغة وطنية (السواحيلية) .

٣- لغات أجنبية[١].

وهذا التقسيم يضع في الاعتبار مكانة اللغات أكثر من وظيفة اللغات نفسها. وقد أدى هذا التقسيم إلى أن كل فرد في المجتمع يستخدم اللغة طبقاً للبيئة ذات الصلة. وهذا يعني أن متحدثاً واحداً عادة ما يستخدم لغة في بيئة لغوية معينة، ولكنه إذا كان في بيئة أخرى؛ يتحتم عليه استخدام لغة أخرى. ولم تأت مسألة استخدام اللغة – مع الوضع في الاعتبار مكانة كل لغة في تنزانيا – صدفة، بل بسبب التعدد اللغوي، وقرارات السياسة اللغوية في تنزانيا. ولقد سمحت السياسة اللغوية باستخدام السواحيلية، والإنجليزية، واللغات القبلية التي تقدر بأكثر من ١٢٠ لغة[٢]. وقد أدى هذا إلى حدوث صراع لغوي أو تعارض لغوي عند استخدام اللغة في المجتمع التنزاني. وتهدف هذه الدراسة إلى بيان السياسة اللغوية الرسمية في تنزانيا، كما تهدف أيضاً إلى توضيح الصراع اللغوي الناتج عن استخدام لغتين وآثاره، وستحاول إلقاء الضوء على اللغة أو اللغات المستخدمة في التعليم بمراحله المختلفة، وما إذا كانت السواحيلية هي المستخدمة، أم الإنجليزية، أم اللغات القبلية. كما ستظهر العقبات التي تقف حائلاً دون تعزيز اللغة السواحيلية في وسط أهلها ودون استخدامها في مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي.

السياسة اللغوية:

السياسية اللغوية هي "نظرة الجهات الرسمية في دولة ما إلى اللغة (أو اللغات) المستخدمة فيها، ولا سيما في التخطيط التقنيني، وفى الاعتراف بالصفة (الرسمية) للغة، وفى تعليم اللغات"(٣). والمقصود بالتخطيط التقنيني "تخطيط لغوي يهدف إلى وضع لغة نموذجية وفرضها على منطقة متعددة اللغات واللهجات، وفق سياسة لغوية معينة"(٤) ويعرف ميكاتشا Mekacha السياسة اللغوية بأنها:

Jumla ya mawazo, matamko, sheria, kanuni na taratibu zenye kuelezea taratibu za utekelezaji wa mabadiliko ya nafasi na matumizi ya lugha katika jamii." (5)

" جملة الافكار، والتصريحات، والقوانين، والتشريعات، والنظم المنوط بها شرح طرق تنفيذ تغير مكانة واستخدام اللغة في المجتمع".

ويعرفها ماسامبا Massamba بأنها:

"Maelezo rasmi au ya kisheria yonayohusu ukuzaji na uendelezaji, wa makusudi, wa lugha katika jamii fulani ya watu. (6)

"التوضيحات الرسمية أو التشريعية التي تتعلق بتطوير وتحسين مقصودين للغة في مجتمع معين".

والسياسة اللغوية في تنزانيا تقر بوجود لغة وطنية، ولغة أو (لغات) تعليم، ولغات أجنبية، ولغات قبلية (اللغات المحلية). أيضاً، قدمت هذه السياسة أفكاراً

بخصوص هذه اللغات، والتي تظهر في السياسة الثقافية لوزارة التعليم والثقافة التنزانية(٧).

اللغة الوطنية:

السواحيلية – طبقاً لما جاء في السياسة الثقافية لوزارة التعليم والثقافة ١٩٩٧م – هي "اللغة الوحيدة التي يتحدث بها ويفهمها السواد الأعظم من الشعب في كل أنحاء البلاد، واستمرت السواحيلية في الاستخدام لغة وطنية منذ بداية الحكم الاستعماري في القرن التاسع عشر وحتى ما بعد الحصول على الاستقلال في عام ١٩٦١م. وبالرغم من أنه منذ أن نالت تنزانيا استقلالها، كانت هناك تصريحات سياسية عديدة، وتوجهات حكومية بأن السواحيلية هي اللغة الوطنية، لم تعلن السواحيلية دستورياً بعد لغة رسمية للدولة. ولا يصرح دستور البلاد Katiba ya nchi haitamki بأن السواحيلية لغة وطنية، ولا يصرح بأنها اللغة الرسمية لتسيير أعمال الحكم، ولم يعلن أنها اللغة الرسمية في التعليم(٨). وعدم الإعلان رسمياً عن مكانة السواحيلية في الدولة التنزانية يؤدي إلى أن المواطنين يحرمون من حقوقهم، لأن الدساتير كتبت بلغة أجنبية، وأعمال الدرجات العليا في المحاكم تسير بلغة أجنبية (الإنجليزية). ومن ثم، توجد إشكالية في عملية التواصل الرسمي الحكومي(٩)".

ومع أن الواقع يقول: إن اللغة هي الهوية الأعظم لأية دولة، وأن تنزانيا استطاعت أن تبني وتعظم وحدتها الوطنية انطلاقاً من استخدام اللغة السواحيلية، إلا أنه مازال يوجد شعور بأن استخدامها سيحول بين تنزانيا وبين التقدم علمياً وتكنولوجياً. ولكن من المعروف في كل أنحاء العالم أنه لا توجد دولة قد تقدمت علمياً وتكنولوجياً تقدماً مقنعاً بدون استخدام لغتها الوطنية. وبناء عليه(١٠):

١- "فسوف تعلن السواحيلية رسمياً لغة الدولة، وهذا الإعلان سيؤخذ بعين الاعتبار في دستور البلاد.

٢- وسوف تقوم الدولة بتشجيع الأفراد والشركات المختلفة لطبع ونشر الكتابات والمنشورات بالسواحيلية.

٣- وسوف يكلف مجمع اللغة السواحيلية ببحث وتطوير وتدعيم استخدامها".

وضع اللغات القبلية Lugha za jamii في السياسة الثقافية لوزارة التعليم والثقافة:

تقول السياسة الثقافية لوزارة التعليم والثقافة بأن لغات القبائل هي "إرث عظيم لتاريخنا، وعاداتنا، وتقاليدنا، وتكنولوجيتنا، وثقافتنا بصفة عامة. أيضاً، هذه اللغات هي أصل لغتنا الوطنية (السواحيلية). وبناءً عليه، فإن مجتمعنا سيواصل استخدامها، والاعتزاز بها. وستقوم الدولة بتشجيع وتحفيز المواطنين، والشركات الوطنية، وشركات القطاع الخاص لتكتب بها، وتجمعها، وتبحث بها، وتحفظها وتترجمها إلى اللغات الأخرى"(١١).

اللغات الأجنبية:

وتحدثنا السياسة الثقافية لوزارة التعليم والثقافة ١٩٩٧ عن اللغات الأجنبية ما ترجمته: "لقد مكنتنا اللغات الأجنبية من التواصل مع شعوب الدول الأخرى، والتبادل التجاري معها. وبالتالي، ستكون الإنجليزية مادة إجبارية في التعليم الأساسي والثانوي، وسوف تشجع في التعليم العالي، وسيتم تطوير تعليمها. أيضاً، وسيتم تشجيع تعليم الفرنسية، والبرتغالية، والروسية"(١٢).

لغة التعليم:

وعن السياسة الثقافية لوزارة التعليم والثقافة قيل ما ترجمته: "فى النظام الرسمي للتعليم، تستخدم السواحيلية كلغة تعليم في مرحلة التعليم الأساسي، وشهادة دبلوم المعلمين، ومحو أمية الكبار. وبدءاً من مرحلة التعليم الثانوي وحتي التعليم العالي Elimu ya juu، فإن الإنجليزية تكون هي لغة التعليم. وهذه السياسة اللغوية دنَّت السواحيلية، ورفعت من شأن الإنجليزية، بالإضافة إلى إعاقة تطور التعليم، والعلوم، والتكنولوجيا في الدولة. وجهود أي حكومة لتكريس الترابط والوحدة الوطنية عبر نظام تعليم رسمي لا يستخدم اللغة الوطنية لغة للتعليم لم يؤد فقط إلى تدمير الإرث الثقافي لهذه الدولة، بل يسهم أيضاً في تكريس الفقر، وعدم الانسجام، والفوضى في المجتمع. وينتج هذا الوضع بسبب أن نسبة ضئيلة من التنزانيين تفهم، وتتحدث، وتكتب باللغات الأجنبية التي تستخدم في التعليم (المقصود هنا الإنجليزية). وإذا كانت الدولة التنزانية ستستمر فى التعليم بالإنجليزية؛ فإن العلوم والتكنولوجيا التي نحتاجها جداً في تنمية وطننا في القرن الواحد والعشرين ستكون فقط من حق القلة القليلة التي تفهم الإنجليزية"[١٣]. ولكي تستطيع تنزانيا تحقيق تنمية في مجالات التعليم، والعلوم، والتكنولوجيا، فإن السياسات التالية هي التي سيتم تنفيذها:

١- "يتم إعداد وتنفذ سياسة معينة لتقديم التعليم في كل المراحل بالسواحيلية.

٢- تكون مادة اللغة السواحيلية مادة إجبارية في مراحل التعليم الأساسي، والثانوي، وتشجع في التعليم العالي، ويتم تطوير تعليمها"[١٤].

تناقضات بين السياسة اللغوية الرسمية المعلنة وبين تنفيذها على أرض الواقع:

طبقاً لهذا الإعلان الرسمي الخاص بالسياسة اللغوية في تنزانيا، من الواضح أنه يوجد تناقض بين ما أعلن عنه في السياسة اللغوية الرسمية لتنزانيا وبين تنفيذ ما جاء في الإعلان على أرض الواقع من ناحية، وبين الاستخدام الفعلي لهذه اللغات التي جاءت في الإعلان من ناحية أخري.

أولاً: الإعلان بأن اللغة الوطنية (السواحيلية) ستعلن رسمياً لغة الدولة، وسيؤخذ هذا بعين الاعتبار في دستور البلاد لم ينفذ حتى الآن، إذا وضعنا في الحسبان أن هذه السياسة الرسمية قد خرجت للنور في عام ١٩٩٧م، وأن التعديلات الدستورية في الدستور المعمول به الآن قد تمت في عام ٢٠٠٥م.

ثانياً: لم تعط هذه السياسة أي دور أو مكانة للغات المحلية في التعليم، ولم يتم اختيارها لغات وطنية.

ثالثاً: لقد قدمت هذه السياسة اللغة الإنجليزية كلغة للتعليم في المرحلة الثانوية وفى مرحلة التعليم العالي، وفى الحقيقة أدى هذا إلى تجاهل اللغة الوطنية (السواحيلية). كما أنه يمثل عائقاً أمام التقدم، وأعطيت اللغة السواحيلية – كلغة وطنية – في السياسة اللغوية الرسمية دوراً في التواصل الرسمي في الحكومة، وفى البرلمان، وفى المحاكم الابتدائية Mahakama za mwanzo، وفى السياسية، وجعلها لغة تعليم في مرحلة التعليم الأساسي، ولكنها في نفس الوقت هي عبارة عن مادة (مقرر) فقط في التعليم الثانوي والتعليم العالي(١٥).

وطبقاً لهذا العرض الذي يوضَّح السياسة اللغوية في تنزانيا فإنه يبدو أن ثمة صراعا عند استخدام اللغات، ويتضح هذا في السطور التالية عند استخدام لغتين في بعض المجالات.

الصراع اللغوي الناتج عن استخدام لغتين في وقت واحد:

أولاً: يظهر هذا الصراع اللغوي في العمل الرسمي الحكومي عند قادة الدولة الكبار. مع أن بعض القادة المؤسسين للدولة التنزانية ساهموا مساهمة كبيرة في رفع مكانة اللغة السواحيلية، فإن القادة الحاليين يمثلون عائقاً كبيراً أمام تطويرها ومنحها المكانة التي تستحقها. فقد كان جوليوس نيريري Julius Nyerere (أول رئيس لتنزانيا بعد الاستقلال) محباً ومدافعاً عن السواحيلية كوسيلة توحيد للقبائل ولبناء مجتمع جديد يريد أن يعتمد على نفسه بتطبيق سياسة اقتصادية مغايرة لسياسة المستعمر، وهي سياسة "الأوجاما" أو الاعتماد على الذات. وبعد استخدامها في النضال من أجل الحصول على الاستقلال، مررت حكومته سياسات عديدة ساعدت على تطوير وتعزيز السواحيلية. وشُكِّلتْ لجنة ماكويتا Makweta في عام ١٩٨١م لتنفيذ هذه السياسات. وكان يحلم باستخدامها في مرحلة التعليم الثانوي بحلول عام ١٩٨٥م، وبعد ذلك في التعليم العالي. ومع ذلك، لم تنفذ اقتراحات هذه اللجنة حتى اليوم[١٦] ولم يتخذ القادة السياسيون الذين جاءوا بعد نيريرى أي خطوات جادة لتطوير اللغة السواحيلية، وبدلاً من ذلك وقفوا في الصف الأول يحثون على استخدام الإنجليزية. فعندما يذهب رؤساء دول كثيرة إلى محافل دولية، يلقون خطاباتهم بلغاتهم الوطنية مصحوبة بترجمة إلى اللغات الأخرى. ولكن رؤساء تنزانيا يستخدمون الإنجليزية في المحافل الدولية، وحتى في الاجتماعات التي تعقد على أرض تنزانيا، فإن رؤساء تنزانيا يستخدمون الإنجليزية أمام المئات

من المواطنين التنزانيين، في حين أن الأجانب الذين يحضرون الاجتماع لا يزيدون عن أصابع اليد الواحدة، وذلك لإرضاء الضيوف ولغتهم، وتجاهل التنزانيين ولغتهم في داخل وطنهم[١٧]. بالإضافة إلى ذلك يمزج نواب البرلمان بين السواحيلية والإنجليزية أثناء جلساتهم ونقاشهم، وهم على يقين أن متابعيهم هم التنزانيون الذين يفهمون السواحيلية ويتحدثونها كلغة وطنية. وبدلاً من أن يتابع المواطن التنزاني مناقشات جلسات برلمانه بلغته الوطنية، عادة ما يسمع تبديل الشفرة اللغوية* أثناء حديث البرلمانيين، بمعني أن أعضاء البرلمان يتحولون من السواحيلية إلى الإنجليزية، في مناقشاتهم أثناء الجلسات. وبالتالي فإن القادة (البرلمانيين) التنزانيين يستبعدون لغتهم الوطنية[١٨].

ثانياً: ويظهر الصراع اللغوي عند استخدام لغتين في وسائل الإعلام في تنزانيا بين مقدمي المواد الإعلامية ومتلقي هذه المواد. ووسائل الإعلام المقصودة هنا هي الصحف، والإذاعة، والتليفزيون. وعلى سبيل المثال لا الحصر، الصحف التي تصدر بالسواحيلية في تنزانيا هي صحيفة الوطني Mzalendo، والمواطن Mwananchi، والمواطن الصالح Mwema Mwananchi، وابن الحقيقة Mwana Halisi، وأخبرني Nipashe، وجريدة الرأي Rai، وجريدة تنزانيا دائما Tanzania Daima، والاستقلال Uhuru. وعلى سبيل المثال لا الحصر، الصحف التي تصدر بالإنجليزية هي صحيفة الجارديان Gurdian، وصحيفة الأخبار اليومية Daily News، وصحيفة المواطنة

* تبديل الشفرة اللغوية Code switching: "تحول المتكلم من "شفرة " بالمعنى الذي يستعمل في علم اللغة الاجتماعي، إلى أخرى خلال الكلام أو المحاورة؛ وقد يشمل هذا

Citizenship، وصحيفة أحوال أورشا Arusha Times. ومحطات الإذاعة التي تبث برامجها بالسواحيلية هي محطة ت ب س الوطنية TBC Taifa، ومحطة Redio One Stereo، ومحطة Redio Free Africa، في حين أن المحطات التي تبث برامجها بالإنجليزية هي محطة Capital Redio، ومحطة Kiss FM. ويخلط التلفزيون بين استخدام السواحيلية والإنجليزية في بث الأخبار. فقناة تلفزيون شرق إفريقيا East African Television، والقناة العاشرة Channel Ten، وقناة ITV، وقناة TBC1، ومحطة التليفزيون الرئيسة Capital Television تقدم برامجها بالإنجليزية[١٩]. والسياسة اللغوية تسمح باستخدام لغتين في وسائل الإعلام، يعني السواحيلية والإنجليزية. وفى الواقع، نسبة الذين يفهمون الإنجليزية في تنزانيا أقل من ١٠% في طول تنزانيا وعرضها، في حين أن نسبة الذين يفهمون السواحيلية تقدر بـ ٩٠% تقريباً في كل أنحاء تنزانيا (إحصاء عام ٢٠٠٥)[٢٠]. ومع أن كثيراً من وسائل الإعلام تقدم برامجها وموادها الإعلامية بالسواحيلية، والقليل منها تقدم برامجها وموادها بالإنجليزية، فإن الأخيرة تحرم الأغلبية العظمى من التنزانيين من فهم الرسالة التي توجهها. وهذا يؤدي إلى إشكالية بالنسبة لهذه الغالبية. أيضاً اللغة السواحيلية المستخدمة في وسائل الإعلام التي تستخدمها عادة ما تكون غير معيارية، وممزوجة بمفردات مقترضة من الإنجليزية[١٢].

ثالثاً: يظهر الصراع اللغوي في مجالات عديدة عند تقديم الخدمات المجتمعية. ويُرى في شركات القطاع العام وفي شركات القطاع الخاص التي تقدم خدماتها للجمهور حيث تقدم بعض الخدمات بالإنجليزية، وبعضها يقدم بالسواحيلية والإنجليزية معاً وهذه المؤسسات هي:

البنوك: بشكل أساسي، يتحدث أبناء المجتمع (العملاء) الذين تقدم لهم الخدمة في البنوك اللغة السواحيلية بدرجة كبيرة جداً، ولكن الخدمات البنكية التي تقدم لهم تستخدم الإنجليزية وحدها، أو الإنجليزية والسواحيلية معاً. ويظهر هذا في النماذج الفارغة التي يراد من العملاء استيفاؤها في البنوك. مثلاً، استمارات الإيداع والسحب Fomu za kuchukua na kuweka fedha في بنك البريد Benki ya posta وبنك ACB تكتب بالإنجليزية مع ترجمة إلى السواحيلية. وفى نفس الوقت، الاستمارات التي تستفسر عن الرصيد الباقي Fomu za kuuliza salio تكتب بالإنجليزية فقط. وفى بنك NBC، تكتب استمارات بيانات العميل Fomu za taarifa za mteja بالإنجليزية مصحوبة بترجمة إلى السواحيلية، وتكتب استمارة تغيير كارت (بطاقة) صرف النقود Fomu ya kubadilisha kadi ya kutolea pesa (ATM) بالإنجليزية فقط. وهذا الوضع يعتبر ضد طموحات وتطلعات التنزانيين، ويظهر الصراع اللغوي عند تقديم الخدمات البنكية لهم بالإنجليزية فقط، وفى أحسن الأحوال بالأخيرة مصحوبة بترجمة إلى السواحيلية[٢٢].

شركة تانيسكو للكهرباء: ويتشابه الوضع في هذه الشركة مع وضع الخدمات البنكية، حيث تكتب فواتير استهلاك الكهرباء قبل إدخال العداد Ankara za kulipia umeme wa malipo ya kabla (luku) بالإنجليزية فقط، في حين أن فواتير استهلاك الكهرباء بعد إدخال العداد تكتب بالسواحيلية والإنجليزية. وتكتب استمارات طلب إدخال الكهرباء Fomu za Maombi ya Kuingizwa umeme بالإنجليزية مصحوبة بترجمة للسواحيلية. وهذا يؤدي إلى صراع لغوي بين لغة الغالبية العظمى من المواطنين (السواحيلية) والإنجليزية[٢٣].

المستشفيات: تستخدم الإنجليزية في المستشفيات لتقديم الخدمات العلاجية للمواطنين التنزانيين الذين يتحدثون السواحيلية. وتكتب روشتات الأدوية

بمصطلحات طبية باللغة الإنجليزية التي لا يفهمها التنزانيون. وتستخدم الإنجليزية في عرض بيانات الأدوية من حيث الوصف والتركيب، والمواد الكيميائية المستخدمة في تصنيع تلك الأدوية Kemikali zinazotumika kutengenezea dawa Tahadhari na matumizi، ودواعي الاستعمال، وموانع الاستعمال hizi، والقليل فقط من النشرات الداخلية المرفقة مع عبوات الأدوية تكتب بالإنجليزية والسواحيلية حيث تكتب الإنجليزية أولاً ويليها السواحيلية. وعادة ما يستمع الطبيب لشكوى المريض بالسواحيلية، ولكنه عادة ما يكتب التشخيص والدواء اللازم بالإنجليزية، الأمر الذي يؤدي بشكل أساسي إلى إشكالية لغوية وصراع لغوي، لأن المريض لا يستطيع أن يقرأ ما كتبه الطبيب المعالج، ومن ثم يتحتم عليه أن يبحث عن شخص يفهم الإنجليزية، ليفهمه ما كتبه الطبيب[٢٤]. الصراع اللغوي عند استخدام الإعلانات التجارية ولوحات توضيح الاتجاهات على الطرق: تكتب بعض الإعلانات بالإنجليزية مصحوبة بترجمة إلى السواحيلية، والقليل من الإعلانات تكتب بالسواحيلية مع ترجمة إلى الإنجليزية، أو تكتب بالسواحيلية فقط. أيضاً، هناك إعلانات تكتب بالإنجليزية فقط. وتكتب أسماء وزارات وأسماء مؤسسات تنزانية كثيرة بالإنجليزية مصحوبة بترجمة إلى السواحيلية. وتستخدم بعض الإعلانات اللغتين داخل الجملة الواحدة[٢٥]:

١- Tunaprint na kutoa photocopy hapa لدنيا طباعة وتصوير هنا
٢- Tunadownload miziki na kuingiza kwenye simu. تنزل الموسيقي (الأغاني) على الهاتف
٣- Tunafanya lamination hapa لدينا تصفح هنا
٤- Tunascan لدينا سكانر

ويبين الجدول التالي المزيد من التوضيح عن الصراع اللغوي عند تقديم الخدمات الاجتماعية للجمهور بلغتين[٢٦]:

اللغة الأقل قدراً	اللغة الأعلى قدراً	مجالات معينة للاستخدام	أنواعها	أماكن الاستخدام
.....	الإنجليزية	استمارة للاستفسار عن الرصيد الباقي	بنك البريد	البنوك
السواحيلية	الإنجليزية	استمارة سحب وإيداع		
السواحيلية	الإنجليزية	استمارة بيانات العميل	بنك NBC	
.....	الإنجليزية	استمارة تغيير كارت		
		سحب النقود (كارتATM)		
.....	الإنجليزية	استمارة بيانات العميل	بنك NMB	
.....	الإنجليزية	استمارة للاستفسار عن الرصيد الباقي	بنك ACB	
السواحيلية	الإنجليزية	استمارة سحب وإيداع		

.....	الإنجليزية	فواتير دفع الكهرباء قبل إدخال العداد		شركة تانيسكو للكهرباء
السواحيلية	الإنجليزية	فواتير دفع الكهرباء بعد إدخال العداد		
السواحيلية	الإنجليزية	استمارة طلب إدخال الكهرباء		
.....	الإنجليزية	بطاقة علاجية (بطاقة الخدمة العلاجية)		المستشفيات
السواحيلية	الإنجليزية	بيانات عن الأدوية		
الإنجليزية	السواحيلية			
السواحيلية تستخدم بدرجة أقل	الإنجليزية تستخدم أكثر	الإعلانات العادية		الإعلانات
الإنجليزية تتلوها	البداية تكون بالسواحيلية	عند تبديل الشفرة في الإعلانات		

يفهم من الجدول السابق أن السواحيلية تأتي في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام في الخدمات المجتمعية التي تقدم للجمهور، بينما تأتي الإنجليزية في المرتبة الأولى. والنتائج تتناقض مع الوضع الحقيقي لاستخدام السواحيلية في

تنزانيا طبقاً لأبحاث كثيرة تم إنجازها في تنزانيا. ويقول أصحاب هذه الأبحاث إن السواحيلية هي اللغة الوحيدة التي تستخدم تقريباً في كل مجالات الاستخدام في دولة تنزانيا. أيضاً، يقول هؤلاء في أبحاثهم إن السواحيلية هي التي تسيطر على مجالات الاستخدام، الرسمية منها وغير الرسمية[٢٧].

وانطلاقاً من هذا الوضع، يجب أن نتذكر أن اللغات التي تستخدم في تقديم الخدمات المجتمعية تهدف إلى تقديم رسالة أو بالأحرى خدمة للمستهدفين الذين يفهم أغلبيتهم السواحيلية، والأقلية فقط (١٠%) هي التي تعرف الإنجليزية. ولذلك، يؤدي هذا الوضع إلى صراع لغوي عند مستخدمي اللغة ويسبب صعوبة في الحصول على الخدمات التي تقدم لهم.

لغة التعليم:

بمجرد أن حصلت تنزانيا على استقلالها عام ١٩٦١م، اختيرت السواحيلية رسمياً لغة وطنية. وبعد ستة أعوام أي في عام ١٩٦٧م، حلت السواحيلية مكان الإنجليزية، وأصبحت هي لغة التعليم في مرحلة التعليم الأساسي[٢٨]. وبعد عامين، أي في عام ١٩٦٩م، اعترفت الحكومة آنذاك بوجود إشكالية في تقديم التعليم بلغتين مختلفتين في مراحل التعليم التالية لمرحلة التعليم الأساسي. وتقدم الخطة الخمسية للتنمية (١٩٦٩ – ١٩٧٤) توضيحاً لهذه المشكلة على النحو التالي: "لدينا نظام تعليمي تستخدم فيه اللغة السواحيلية كلغة تعليم في مرحلة التعليم الأساسي، والإنجليزية للتعليم في المدارس الثانوية. وهذه مشكلة تعليمية يمكن أن تؤدي إلى وضع خطير. وسينتج عنها ظهور فئة من المواطنين تلقوا تعليمهم بالسواحيلية، وأخرى تتعلم بالإنجليزية. وسيؤدي هذا إلى فقدان التعليم في المرحلة

الثانوية هدفه. ومن ثم لن تكون هناك جدوى من الاستمرار في استخدام الإنجليزية في التعليم الثانوي[٢٩].

وبإدراكها لهذه المشكلة، أفصحت الحكومة عن نيتها وصرحت بوضوح أنها تنوي تغيير لغة التعليم العالي، لتصبح السواحيلية هي لغة التعليم في هذه المرحلة، ووضع خطة لتنفيذ هذا الهدف. وبذلك، كان يفترض أن يتم تدريس مقررات التعليم الفني Masomo ya fani za sanaa والعلوم الإنسانية\ الاجتماعية Sayansi ya jamii بالسواحيلية في ١٩٧١م بدءاً من الفرقة الأولى ومروراً بالفرقة الثانية في العام التالي وحتى يختم هؤلاء الطلاب درجتهم الجامعية الأولى[٣٠].

وبالرغم من أنه لم يتم تنفيذ هذه الخطة؛ فإن الحكومة لم تعلن أنها تراجعت عن قرارها؛ لذلك فإن المعنيين والمؤسسات المختلفة ومن بينها جامعة دار السلام[٣١] واصلت الاستعداد أملًا في أن الحكومة ستقرر البدء في تنفيذ خطتها في أي وقت[٣٢].

أيضاً واصلت المؤسسات المعنية والعلماء واللغويون وآخرون الكشف عن المشاكل المترتبة على الاستمرار في التعليم بالإنجليزية، والحاجة إلى تنفيذ إحلال السواحيلية في المرحلتين الثانوية والتعليم الجامعي. ومن بين هذه المؤسسات وهؤلاء العلماء معهد التعليم Taasisi ya Elimu 1974، واجتماع مديري المدارس الثانوية Mkutano wa wakuu wa shule za sekon dari عام ١٩٧٠م، والتقرير الذي قدمه الأستاذان الجامعيان: ملاما Mlama، وماتيرو Matteru عام ١٩٧٨م، ولجنة وزارة التعليم Kamati ya wizara ya elimu

١٩٧٨، واللجنة التي شكلها الرئيس للتعليم Tume ya Rais ya Elimu (المعروفة بلجنة ماكويتا Tume ya Makweta) ١٩٨٢م [٣٣].

واستناداً على اقتراحات لجنة ماكويتا*، صرحت الحكومة رسمياً على لسان وزير التعليم (كان وزير التعليم آنذاك هو ماكويتا والذي سميت اللجنة باسمه) في عام ١٩٨٣ برفض اقتراح تلك اللجنة، ورفضت (أي الحكومة) تنفيذ قرارها السابق الذي يقضي بتغيير لغة التعليم العالي. وبدلاً من ذلك، أكدت الحكومة على أن الإنجليزية ستستمر كلغة تعليم في مراحل التعليم العالي لمدة طويلة قادمة[٣٤]. وفى الواقع، هذه هي المشكلة. فالحكومة ترفض تنفيذ قرارها السابق بتغيير لغة التعليم في مرحلة التعليم العالي. وهنا نتساءل: لماذا لم تستخدم السواحيلية؟!

بالإضافة إلى أن الحكومة رفضت تنفيذ خطتها بتغيير السياسة اللغوية، فإن نتائج البحوث واستطلاعات الرأي التي قام بها كثير من الباحثين استمرت في كشف المشاكل المترتبة على الاستمرار في استخدام الإنجليزية، كلغة تعليم خصوصاً في التعليم الثانوي والتعليم العالي. ومن بين هذه الأبحاث: بحث لكل من بنينا ملاما Penina Mlama، وماتيرو مى Matteru May بعنوان: "ضرورة استخدام السواحيلية في التعليم العالي Haja ya Kutumia Kiswahili Kufundishia Eimu ya Juu" (١٩٧٨م)، وبحث لدانيل مكودي Daniel Mkude بعنوان: "المطابقة التعليمية مع مهارات التواصل بالسواحيلية Matching Educational with Communicative Skills in Kiswahili"(١٩٨٢م)، ورسالة ماجستير غير منشورة للباحث يوحنا مسانجيلا Yohana

* كان من بين اقتراحات هذه اللجنة إحلال السواحيلية محل الإنجليزية لتصبح هي لغة التعليم في المرحلة الثانوية ومرحلة التعليم العالي.

Msanjila بعنوان: "أساس منطقي لوضع اللغة السواحيلية كوسيلة تعليم في المدارس الثانوية والتعليم العالي في تنزانيا A Rationale for Introducing Kiswahili as a Medium of Instruction in Secondary Schools and Higher Education in Tanzania (١٩٨٤م)، وبحث للباحث يوحنا مسانجيلا أيضاً بعنوان: "فلتستخدم السواحيلية في التعليم في المدارس الثانوية والتعليم العالى في تنزانيا Kiswahili Kitumike Kufundishia Shule za Sekondari na Elimu ya Juu Tanzania "(١٩٩٦م)، وبحث لمارتا كورو Martah Qorro بعنوان:"وظيفة ومكانة اللغة في التعليم والمجتمع The Role and Place of Language In Education and Society (١٩٩٦م)[٣٥].

وواصل هؤلاء الباحثون وغيرهم الكثير بيان الحاجة إلى تغيير السياسة اللغوية، ووضحوا العديد من النقاط توضيحاً تاماً لا لبس فيه، ويمكن إيجاز هذه النقاط فيما يلي:

١- لا يجب أن تستمر الإنجليزية كلغة تعليم.
٢- الاستمرار في استخدام الإنجليزية كلغة تعليم في مرحلة التعليم الثانوي والتعليم العالي يعوق توصيل واستقبال المعارف التي يراد توصيلها للمستهدفين (الطلاب).
٣- الاستمرار في استخدام الإنجليزية يوقف نمو اكتساب مهارة اللغة الإنجليزية واللغة السواحيلية كلغات تواصل تعليمي.
٤- وبسبب الاختلاف بين اللغة المستخدمة في التعليم الثانوي والتعليم العالى (الإنجليزية) ولغة التواصل اليومي العادي (السواحيلية)، لا يمكن استخدام الإنجليزية كما ينبغي كلغة تعليم في هاتين المرحلتين.

٥- لا يوجد أدنى شك عند اللغويين والعلماء بأن اللغة السواحيلية يمكن أن تستخدم كلغة تعليم في كل المراحل، وأنها ليست عاجزة أو قاصرة عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة التي تستجد على الساحة التعليمية[٣٦].

لغات القبائل، والسواحيلية، والإنجليزية والتعليم:

كثرة اللغات في الدول النامية من بين الشواهد على عدم نضج هذه الدول تنموياً. وتنزانيا من بين هذه الدول التي توجد بها لغات كثيرة، وكثرة هذه اللغات تؤدي إلى قصور كبير تواصلياً، وكثير جداً من التنزانيين لديهم لغات قبائلهم، وهذه اللغات هي التي تمنحهم أنفاسهم الاجتماعية الأولى عندما يخرجون إلى الحياة من بطون أمهاتهم، وبمعرفتهم لهذه اللغات يتشرب التنزانيون عبر لغات قبائلهم هذه آداب وأخلاق وعادات وتقاليد قبائلهم. وعبر هذه اللغات، يتعرفون على المحيطين بهم من القبائل الأخرى، وباختصار فإن هذه اللغات هي التي يفتحون آذانهم وأعينهم عليها فور خروجهم للحياة، وتقدر هذه اللغات بأكثر من ١٢٠ لغة[٣٧].

في نظام التعليم في تنزانيا، تستخدم السواحيلية في مرحلة التعليم الأساسي، وعندما يلتحق الأطفال بهذه المرحلة يجبرون على ترك لغاتهم الأم التي يجيدونها، وبسبب هذا الإجبار يتعلم هؤلاء الأطفال السواحيلية إلى أن يتقنوها، ولأن كثيراً من هذه اللغات القبلية بانتوية الأصل -كالسواحيلية-، لم يكن من الصعب على الأطفال تلقي التعليم بالسواحيلية في مرحلة التعليم الأساسي، وبالإضافة إلى أن السواحيلية لغة بانتوية فإنها منطوقة ومسموعة في محيطهم وبيئتهم طوال الوقت، ومن ثم فإن السواحيلية هي التي تُسيِّر الحياة في جمهورية تنزانيا الاتحادية[٣٨].

وعندما يلتحقون بالمدارس الثانوية فإن لغة التعليم لنفس أولئك الطلاب (الأطفال) تتغير مرة أخرى، وفى هذه المرة يجبرون على التعلم بالإنجليزية،

وباختصار، يجبر طلاب تنزانيا على التخلي عن اللغة السواحيلية التي يجيدونها تماماً، ويلزمون بتلقي العلوم بالإنجليزية التي لا يعرفونها[٣٩]. فيصبح نظام التعليم يستخدم لغتين هما: السواحيلية والإنجليزية. وتستخدم السواحيلية في مرحلة التعليم الأساسي، والإنجليزية في المرحلة الثانوية ومرحلة التعليم العالي. وهاتان اللغتان هما اللتان تمكنان الطلاب من طرح الأسئلة في الفصول الدراسية، وتلقي التوضيح، ومناقشة الآراء التي تطرح، ورفضها، أو قبولها. وعبر هاتين اللغتين ينتظر من الطلاب أن يطرحوا وجهات نظرهم والتخلي عنها إن كانت غير صحيحة أو تعديلها، وهاتان اللغتان تمنحان الطلاب القدرة على فهم ونقد الأمور. ومن الواضح أن استخدام السواحيلية في مرحلة التعليم الأساسي ثم استخدام الإنجليزية في المراحل التالية يؤدي إلى مشاكل تعليمية وسيكولوجية[٤٠].

في هذا السياق عندما يلتحق الطفل بمرحلة التعليم الأساسي، يتخلى ـ مجبراً ـ عن لغة قبيلته (لغته الأم) التي اعتادها ويجيدها، ويستخدم السواحيلية التي لا يعرفها جيداً في تلك المرحلة العمرية، وهذا التغيير هو الذي يفصل بين مرحلة التعوُّد التي تمت أثناء مرحلة التنشئة الأولى في البيت، وبين مرحلة الالتحاق بالمدارس الابتدائية في سن الطفولة، وبسبب تغيير اللغة هكذا تضيع كثير من المعلومات، والأفكار، والمفاهيم التي عرفها الطفل بلغته الأم قبل الالتحاق بالمدرسة. ولحسن الحظ فإن السواحيلية – وهي لغة التعليم في مرحلة التعليم الأساسي – تربطها قرابة لغوية كبيرة صوتياً، ومفرداتياً، وصرفياً، ونحوياً، وتركيبياً بكثير من لغات القبائل التي هي أيضاً لغات بانتوية الأصل. وبعض الإحصائيات تقول إن أكثر من ٥٠% من مفردات اللغة السواحيلية من أصل بانتوي. وهذه الحقيقة التاريخية هي التي جعلت متحدثي أية لغة بانتوية أخرى يلتقطون السواحيلية بسرعة، ويتشربونها بسهولة[٤١]. ومن هنا يضطر الطالب إلى ترك لغته

الأم مستخدماً السواحيلية دون اضطرابات سيكولوجية كبيرة، ففى أحوال كثيرة بعد عام أو عامين، . عادة ما. يملك الطالب ناصية السواحيلية، ويتمكن منها؛ لذلك وفى مدة قصيرة، يجيدها، وتصبح وسيلة فعالة للتفاهم مع أقرانه، ومعلميه، ولتلقي العلوم والمعارف المختلفة، وبعد بناء أساس ثابت للتواصل ولتلقي المعرفة تغير لغة التعليم مرة أخرى، ويتحتم على الطالب أن يستخدم الإنجليزية في المرحلة الثانوية، ويأتي هذا التغيير بعد أن يكون الطالب قد درس الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي بما لا يزيد عن ٨٠٠ ساعة[٤٢].

وارتضى العلماء و/أو قادة تنزانيا تماماً أن تصبح الإنجليزية هي لغة تلقي المعرفة في المدارس الثانوية، بعد أن درَّسها معلمون غير محترفين بداية من الصف الثالث الابتدائي وحتى الصف السابع (خمس سنوات دراسية)، بهذا العدد من الساعات، وبالوسائل التعليمية المتواضعة المتاحة في المدارس. ولا يمكن تشرب لغة التنشئة (اللغة الأم التي يولد بها الطفل) بدون استخدام يقدر بـ ١٨,٠٠٠ ساعة. وهذا يعني أن الطفل – قبل أن يلتحق بالمدرسة – يستغرق الخمسة أعوام أو الستة أعوام الأولى من حياته في تعلم لغة التنشئة، وهذه الفترة هي التي تمكنه من بناء أساس صرفي ونحوي ثابت لهذه اللغة، كذلك عند بناء هذا الأساس يجد الطفل عوناً من البيئة المحيطة به، فكل المحيطين به يتحدثون اللغة التي يتعلمها. وليس هذا فحسب، بل لا يُكَلَّف الطفل في هذه الفترة بتكليفات كثيرة تحتاج منه إلى إجهاد عقلي. فالطفل ليس لديه في هذه المرحلة أية تكليفات رسمية تجهده ذهنياً. وبالتالي فالتوقع من الطفل أن يتعلم الإنجليزية في المدرسة في هذه الفترة القصيرة هو توقع لمعجزة[٤٣].

ونتيجة لذلك، فإن الطلاب في المرحلة الثانوية لا يفهمون الدروس التي تلقى عليهم في الفصول الدراسية لأن اللغة المستخدمة (الإنجليزية) غير مفهومة جيداً

بالنسبة لهم. وكثير من الطلاب التنزانيين يتحدثون اللغة السواحيلية لغة أولى (لغة أم) أو لغة ثانية، في حين أن الإنجليزية تأتي لغة ثالثة بالنسبة لهم. ومن ثم عندما تكون لغة التعليم هي اللغة الثالثة لكثير جداً من الطلاب يصبح من الصعب فهم نظام هذه اللغة بسهولة، ويؤدي هذا الوضع إلى عدم فهم غالبية الطلاب لدروسهم جيداً. كذلك فإن الطلاب لا يفهمون دروسهم جيداً لأن المعلمين الذين يدرسون المواد الدراسية في التعليم الثانوي لا يفهمون الإنجليزية جيداً. وكمحصلة لهذا نجد أن الطلاب لا يفهمون معلميهم عندما يدرسون لهم في الفصول الدراسية، كذلك فإن تغيير لغة التعليم في مرحلة التعليم الثانوي يجعل الطلاب يستغرقون وقتاً طويلاً لفهم دروسهم، وبحلول موعد الامتحان النهائي، تكون درجاتهم غير مرضية، ويعوق هذا تطور وتقدم الدولة التنزانية(٤٤).

ولقد قام أحد الباحثين باستطلاع آراء طلاب المرحلة الثانوية في ولاية إليميلا "Ilemela" في مدينة موانزا "Mwanza"، وكان السؤال المطروح على المستطلع آراؤهم هو: هل عدم فهم الإنجليزية جيداً في المدارس الثانوية يسهم في فقدانهم للمعارف التعليمية المختلفة في المدارس الثانوية؟ وبينت نتيجة الاستطلاع أن ٩٧.٥% (٧٨ طالب من إجمالي ٨٠ طالب) قالوا: بأن عدم فهمهم للغة الإنجليزية جيداً هو أحد الأسباب الأساسية في عدم تحصيلهم للمعارف التي يتلقونها في المدارس الثانوية، ووجه السؤال نفسه للمدرسين، واتضح أن ٧٢% من المدرسين اعترفوا بأنهم لايستطيعون استخدام الإنجليزية جيداً عندما يدرسون للطلاب في الفصول الدراسية في المدارس الثانوية(٤٥).

عدم تغيير السياسة اللغوية: نظرة تاريخية:

تاريخياً، مرت السياسة اللغوية في تنزانيا بأربعة مراحل: المرحلة الأولى وهي مرحلة الاستقلال والوطنية، ومحاولة بناء الوطن الوليد المتحرر من براثن المستعمر. والثانية: هي مرحلة وصول آمال وطموحات التنزانيين إلى الذروة. وتلاها المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الغموض والتشوش. والمرحلة الرابعة: هي مرحلة انسداد الأفق والظلام.

المرحلة الأولي: الاستقلال والوطنية:

تبدأ هذه المرحلة من عام الاستقلال ١٩٦١م وتنتهي عند عام ١٩٦٧م، وهذه هي المرحلة التي سبقت إعلان أروشا "Azimio la Arusha" وكانت الدولة التنزانية قد ظلت قبل عام ١٩٦١م محكومة حكماً استعمارياً مدة طويلة من الزمن؛ لذلك كانت المرحلة الأولى هي مرحلة بناء الوطن والتأكيد على الوحدة الوطنية، وبدا أن السواحيلية عامل مساعد مهم جداً في المساعدة على بناء الوحدة الوطنية من شتات القبائل المختلفة، كذلك كان هناك في تلك الفترة تأكيد على تخليص الذات من الأفكار الاستعمارية، واتضح أن استخدام السواحيلية أيضاً في ذلك السياق هو الداعم لهوية الوطن والمواطن، وكانت تلك المرحلة ـ أيضاً ـ هي مرحلة التأكيد على الثقة بالذات، وتثمين كل ما هو وطني، وأصبحت السواحيلية هي الداعم الرئيس للثقة بالنفس، وتقدير كل ما هو وطني، وكان ذلك الوقت هو وقت إظهار مكانة الوطن الجديد (الدولة الجديدة) في العالم، وأصبحت السواحيلية دليل ورمز الدولة التنزانية الوليدة، وكان نظام العلاقات الدولية في العالم محكوماً بأيديولوجيتين مختلفتين هما: الأيدولوجية الرأسمالية للدول الغربية وتقودها الولايات المتحدة الأمريكية، والأيديولوجية الاشتراكية أو المعسكر الاشتراكي الذي كان يقوده الاتحاد

السوفيتي آنذاك، أي أن العالم كان محكوماً من قوتين اثنتين، وقد أدى هذا إلى منح الدول النامية هامشاً معيناً من الحرية، والإرادة، والقدرة على تقرير مصيرها بنفسها بدون تدخل من القوى الكبرى، ومن ثم كانت تنزانيا قادرة على وضع سياساتها بنفسها (السياسة اللغوية من بينها) وإعلان (أروشا) الذي يشير إلى بداية المرحلة الثانية التي تبدأ من عام ١٩٦٧م إلى عام ١٩٧٥م تم إعلانه في ظل هذه الظروف الدولية والمحلية(٤٦).

المرحلة الثانية: مرحلة القمة (١٩٦٧م – ١٩٧٥م):

كان من ضمن أهداف إعلان (أروشا) الذي خرج إلى النور في عام ١٩٦٧م تغيير العلاقات الاجتماعية، وإحداث تغييرات سياسية، واقتصادية، واجتماعية على طول خطوط العدالة والإنصاف الاجتماعي(٤٧). كذلك وضع على أجندته مسألة تحرير الذات من مخالب النظام الرأسمالي وبناء نظام اقتصادي اشتراكي أطلق عليه اسم "الأوجاما Ujamaa" وشهدت هذه المرحلة تغييرات جذرية في كل مجالات الحياة. ولم تكن اللغة، والتعليم، ولغة التعليم بعيدة عن هذه التغييرات. ولم تعد اللغة وسيلة فقط بل جزءاً من هذه التغيرات، وتم في هذه المرحلة وبالتحديد في عام ١٩٦٧م تغيير السياسة اللغوية، وأصبحت السواحيلية هي لغة التعليم في مرحلة التعليم الأساسي، وأصدرت الحكومة توجيهاتها بأن تصبح السواحيلية هي لغة التواصل الرسمي، وفي هذه المرحلة أيضاً، أعلنت الحكومة رسمياً عزمها على تغيير السياسة اللغوية المتبعة في التعليم العالي(٤٨). ووصل النقاش حول اللغة السواحيلية وكيفية تطويرها وتثمينها إلى ذروته في هذه المرحلة(٤٩). وكان ذلك الوقت هو وقت تأسيس معهد اللغة السواحيلية "Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili" ومجمع اللغة السواحيلية الوطني "Baraza la Kiswahili

Taifa"la، وقسم اللغة السواحيلية "Idara ya Kiswahili" في جامعة دار السلام(٥٠).

المرحلة الثالثة: مرحلة الغموض:

وتبدأ هذه المرحلة من عام ١٩٧٥م وحتي عام ١٩٨٢م وظهر في هذه الفترة مشاكل اقتصادية كبيرة ومجاعة وحرب تنزانيا ضد أوغندا، وبدأ الأمل في تنمية سريعة تصل إلى المساواة والعدل يبهت، وبدأت تتلاشى قدرة الدولة على إثبات إرادتها على المستوى الدولي، وبدأ التحمس للوحدة الوطنية يخفت، وبدأت تتآكل استقلالية الوطن وجسارته على تنفيذ أيديولوجيته ووجهته السياسية والاقتصادية التي يراها مناسبة لتحقيق أهدافه، باختصار بدأت الظروف السياسية، والوطنية، والدولية في التغير، وبالرغم من أن الحكومة لم تكن – حتى عام ١٩٧٥م – قد نفذت قرارها وخطتها الرامية إلى تغيير السياسة اللغوية وتغيير لغة التعليم، كان الأمل مازال يحدو ببعض العلماء والمعنيين بأن تغييراً سيحدث؛ لذلك استمرت جهود اللغويين والعلماء وكل المعنيين في تطوير السواحيلية انتظاراً لليوم الموعود، ومع ذلك، من وجهة النظر الوظيفية للغة* السائدة بين الحكام والمواطنين في تلك الآونة، مازالت اللغة عبارة عن وسيلة لبلوغ بعض الأهداف المرجوة. واتضح أن السواحيلية ما هي إلا وسيلة للوصول إلى أهداف سياسية واجتماعية مثل "الوحدة الوطنية Umoja wa Kitaifa" و"التعليم الأساسي للجميع Elimu ya Msingi

* وظيفة Function: "الغرض الذي تؤديه اللغة. وتقسم أهم وظائف اللغة إلى: استجابية، ومعرفية، وتواصلية، وتعبيرية، واجتماعية. لمزيد من التوضيح: بعلبكي، رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولي، ١٩٩٠، ص ٢٠٣.

kwa Wote، و"الثقافة الوطنيةUtamaduni wa Kitaifa" و"وسيلة التواصل الحكومي Nyenzo ya Mawasiliano ya Kiserikali". وعندما اعتقد أن هذه الأهداف وغيرها قد تحققت، لم تعد هناك ضرورة لتطويرها، وساد شعور وسط أصحاب هذه النظرة مفاده: أنه لم تعد هناك حاجة لتغيير السياسة اللغوية في التعليم العالي، وانحرف النقاش في هذه المرحلة عن مقصده، وبدلاً من أن يدور حول تنفيذ الخطة التي كانت قد أعدت لتكون السواحيلية هي لغة التعليم الثانوي والتعليم العالي، أصبح يتمحور حول "جدوى أو عدم جدوى هذه اللغة أو تلك"، و"قدرة أو عدم قدرة هذه اللغة أو تلك على التعليم في المرحلتين التاليتين لمرحلة التعلم الأساسي". وسطَّح هذا النقاش مسألة لغة التعليم بطريقتين:

١- سُطِّح هذ النقاش وتم حصره فقط في لغة التعليم بدلاً من أن يكون نقاشاً حول لغة التعليم كجزء من نقاش أوسع يتعلق باللغة كوسيلة لبناء المجتمع، مثل بناء المجتمعات الأخرى.

٢- بُسِّطت القضية وأصبحت تدريسية Suala la Kipedagojia بدلاً من أن تكون قضية سياسية واجتماعية، كما نظرت إليها وحددتها الخطة الخمسية للتنمية (١٩٦٩م – ١٩٧٤م)[٥١].

ومع ذلك، لا يمكن التقليل من شأن الأسس التي كانت قد وضعت في البداية لتجعل السواحيلية فاعلة في تغيير العلاقات الاجتماعية، ولا يمكن الاستهانة بالنجاحات التي جعلت السواحيلية تحتل مكان الإنجليزية في التعليم الأساسي، وتأخذ مكان اللغات المحلية الأخرى لتوحيد الأمة التنزانية على لغة وطنية واحدة.

واتسع ميدان النقاش لمسائل أخرى مثل كيفية منع السواحيلية من الاستمرار في القضاء على اللغات الأخرى، ولم يصبح النقاش منصباً فقط على "جدوى هذه اللغة

أو تلك" أو "قدرة هذه اللغة أو تلك"، بل امتد إلى قضية حماية اللغات الأخرى، خصوصاً الإنجليزية، حتى لا تموت، ويفقد التنزانيون المنفعة التي يمكن أن تأتي من ورائها Kisife na Watanzania Wakayakosa Manufaa Yatokanayo nayo، والاستمرار في استخدام الإنجليزية، لأنها من ضمن اللغات الموجودة في الأمم المتحدة "Jumuiya ya Kimataifa" وكلغة فاعلة في عالم العلوم والتكنولوجيا "Sayansi na Teknolojia" ولذلك، تلازمت الحجج المدافعة عن استخدام الإنجليزية في التعليم العالي مع مشاعر الخوف لدى البعض من ضياع هذه اللغة، بالرغم من أن السواحيلية ستستخدم، وهذا الخوف – الذي ليس له ما يبرره في الواقع – سيطر على المناقشات الدائرة بين المعنيين وحتي بين المواطنين، وساهم كثيراً في تشكيل وعي المواطنين فيما يتعلق بهاتين اللغتين وبالسياسة اللغوية، وبلغة التعليم(٥٢).

المرحلة الرابعة: مرحلة الظلام:

وهذه المرحلة تبدأ من عام ١٩٨٣م إلى عام ١٩٩٠م وفى الواقع، استمرت هذه المرحلة حتى منتصف التسعينيات وما بعدها، وازدادت المشاكل الاقتصادية في هذه المرحلة، وتحتم على الدولة التنزانية في نهاية المطاف أن تتبع السياسات الاقتصادية التي تفرضها المؤسسات الدولية مثل: "البنك الدولي Benki ya Dunia، و"صندوق النقد الدولي Shirika la Fedha Duniani" مصحوبة بشروط صعبة. ولم تعد تملك تنزانيا – كدولة نامية – القدرة على تشكيل ووضع سياساتها بإرادتها، وعندما استطاعت لم يكن لديها المقدرة المالية على الإنفاق على تحقيقها، وفى هذه المرحلة أيضاً، وعلى وجه الخصوص بداية من عام ١٩٩٠م، هيمنت سياسية "السوق الحر Soko Huria"، و"الخصخصة Ubinafsishaji"، و"الديمقراطية Demokrasia" التي تنادي بالتعددية الحزبية.

وفقدت تنزانيا رويداً رويداً إرادة اتخاذ القرار وإنفاذه بدون التدخل من الدول الأجنبية (المستعمر سابقاً). وبداية من عام ١٩٩٠م*، عاد الاستعمار مرة أخرى (الاستعمار الجديد Ukoloni Mpya)، وسيطر تقريباً على كل قطاع في المجتمع، وفى النهاية السياسات التي تم إنفاذها هي تلك التي أنفق عليها أناس من الخارج، ومن ثم فهي سياسات أجنبية أذنت لها الدول الأجنبية بالتطبيق، وفى الغالب الشركات متعددة الجنسيات التي تمثل هذه الدول والتي تسمي نفسها بـ " شركات المانحين Mashirika ya wafadhili" هي التي تشرف على هذه السياسات ووضعها وتنفيذها. ويشترط المانحون شروطاً صعبة إن لم تكن "مذلة"، ومن ضمن هذه الشروط مثلاً أن على تنزانيا الاستمرار في استخدام الإنجليزية كلغة تعليم في مرحلة التعليم العالي إذا أرادت الاستمرار في الحصول على مساعدات معينة من المانحين(٥٣).

وبدأ نظام ستالين Stalin في الكتلة الشرقية التي كان يقودها الاتحاد السوفيتي يخفت، ثم تبدد تماماً في أوائل التسعينيات، وتغيرت العلاقات الدولية تماماً بسبب تبدد هذا الاتحاد*، وحصل النظام الغربي الرأسمالي الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية على قوة دفع كبيرة، كذلك فقدت كل الأيديولوجيات التي كانت مختلفة عن الأيديولوجية الرأسمالية والنظام الغربي قوتها؛ ونتيجة لهذا فقدت الدول النامية

* الجدير بالذكر أن الرواية السواحيلية تغيرت بدءاً من عام ١٩٩٠م تغيراً جوهرياً من الناحيتين الموضوعية والفنية على حد سواء، وثارت على كل التقاليد، ورفضت كل القيم والجماليات التي كانت سائدة في الرواية السواحيلية التقليدية، وتملصت من الواقعية التقليدية التي أصبحت عائقاً ضد جذب الانتباه للتنافر الموجود في الحياة الحديثة في كل من تنزانيا وكينيا.

* وهذا التبدد تزامن مع انتهاء الحرب الباردة، وانفرد تكتل واحد بقيادة العالم.

إرادتها في وضع وتنفيذ سياساتها بنفسها، وأصبح قادتها أمراء فقط في تنفيذ السياسات الغربية، مما أدى إلى تثمين كل ما هو غربي بدءاً من الاقتصاد، ومروراً بالسياسة، ووصولاً إلى الثقافة (اللغة متضمنة فيها) وفى مثل هذه البيئة، انعدمت الثقة بالذات، وتلاشت الاستقلالية، وتآكلت الإرادة الفاعلة، وكل هذا سار جنباً إلى جنب مع انعدام الإبداع، وبناءً عليه ذاعت فكرة أن الأمريكان هم المبدعون وهم القادرون على البناء والرقي، وكل ما تقوم به المجتمعات الأخرى مجرد تقليد فقط سواء أكان هذا بوعي أم بدون وعي، ونتيجة لفكرة انعدام المبدعين والتقليد فقط تتم السيطرة على الآخر فكرياً، فالسيطرة الفعلية هي السيطرة على العقول ومن ثم الفكر(٥٤).

وفى علم اللغة الاجتماعي وخصوصاً في مجال السياسة اللغوية ظهر ما يعرف بـ "استعمارية اللغة"، وهو المصطلح الذي يقابله في السواحيلية "Ubeberu wa lugha"، والمصطلح الإنجليزي المقابل لهما "Linguistic Imperialism". وهي ظاهرة تشير إلى سيطرة لغة ما على أفكار وحياة متحدثي لغة أخرى بالقدر الذي يجعلهم يؤمنون بأنهم يستطيعون التحدث فقط بهذه اللغة الأجنبية، وأنه يتحتم عليهم استخدامها عندما يتناقشون في مسائل مهمة مثل: التعليم، والفلسفة، والأدب، والدولة، والقانون. واستعمارية اللغة لها أساليبها الخفية للسيطرة على الأفكار، والأذواق، وحتى السيطرة على طموحات المهمين من الناس في المجتمع، بالقدر الذي يجعلهم لا يستطيعون حتى معرفة وتثمين قيمة لغتهم(٥٥).

وفى هذه المرحلة لم يناقش الحكام، والعلماء وآخرون كيفية تنفيذ القرارات السابقة، ولكن النقاش الذي استمر في الصحف، خصوصاً صحيفة "الرأي Rai" ، وصحيفة "الموسم Majira"، وصحيفة "الجارديان The Guardian" بين أن الحوار الذي كان قد تقدم خطوات كبيرة جداً للأمام في اتجاه تنفيذ السياسة اللغوية

قد تراجع إلى الخلف. وانهمك المعنيون في حوار يتعلق بـ "نفع أو عدم نفع السواحيلية أو الإنجليزية كلغة تعليم في التعليم الثانوي والتعليم العالي"، و"قدرة أو عدم قدرة السواحيلية على أن تكون لغة تعليم في المرحلتين المذكورتين"، و"التحجج بضرورة تدعيم الإنجليزية حتى لا تطغى عليها اللغة الوطنية وتمحوها". وفى حقيقة الأمر؛ يبين هذا الجدال أن مفهوم" استعمارية اللغة" قد سيطر تماماً على الحوار(٥٦).

الحجج والرد عليها:

هناك تنزانيون يشككون في قدرة لغتهم الوطنية لتصبح لغة تعليم في مرحلة التعليم الثانوي ومرحلة التعليم العالي، وهذا التشكيك ليس له أي أساس نظري، أو لغوي، أو تدريسي. فمن الناحية النظرية، كل لغة لديها القدرة على القيام بأي وظيفة في المجتمع الذي تستخدم فيه إذا أعطيت أو فلنقل إذا "سمح لها بهذه الوظيفة". ومن الناحية اللغوية عندما تعطى أية لغة وظيفة، فإن نظامها اللغوي عادة ما يتسع ليفي بحاجات التواصل في هذا المجال، فالنظام اللغوي لا يمكن أن يتسع إن لم يتسع الاستخدام (استخدام اللغة). وتدريسياً، توصيل واستقبال المعرفة يكون فعالاً، وبالتالي ينجح أكثر إذا أنجز بلغة يجيدها المدرسون والطلاب تماماً(٥٧). وأية لغة تسيطر على البيئة المحيطة بالطالب تصلح لتعليمه(٥٨).

ويمكن أن تكون هذه اللغة هي اللغة الأم أو أية لغة أخرى تتشابه مع اللغة الأم. بالنسبة لتنزانيا، هذه اللغة هي السواحيلية التي تستخدم في القرى، والنجوع، وكل الولايات، وفى المدن. وكثير من العلماء والباحثين والمواطنين دافعوا عن مطلب استخدام السواحيلية، واعتبروه مطلباً مهماً تدريسياً، وثقافياً، واحتراماً لإنسانية الإنسان(٥٩).

أيضاً، خرجت آراء كثيرة تتحدث عن قصور وعجز السواحيلية ومن ثم استحالة استخدامها في التعليم في تنزانيا. ويزعمون بأنه:

١- لتسهيل الاشتراك والاستفادة جيداً من العولمة يجب استخدام الإنجليزية في التعليم؛ لأن السواحيلية لا تصلح للعولمة، ولا للحداثة، أي أنها لا تصلح لزمن العولمة، ولا لزمن الحداثة.

٢- من الأفضل أن يتم التعليم بالإنجليزية لجني ثمار العلوم والتكنولوجيا الغربية.

٣- ويجب تقديم التعليم بالإنجليزية من أجل التواصل مع العالم.

٤- ولابد أيضاً من الإنجليزية في التعليم من أجل التجارة الدولية مع العالم.

٥- ويقولون . أيضاً . بضرورة استخدام الإنجليزية في التعليم في تنزانيا من أجل التسهيل على المستثمرين الذين يستثمرون على أرضها[٦٠].

ولكن حتى بدون الإنجليزية يمكن أن توجد العولمة وإلا لماذا الفرنسية هي لغة العولمة في مدغشقر وساحل العاج؟، ولماذا البرتغالية هي لغة العولمة في أنجولا؟ فالاستفادة من العولمة (إن كان بها إفادة) لا تحتاج إلى لغة معينة، والتكنولوجيا أيضاً تجارة مثلها مثل أي تجارة أخرى، ويتحتم على تنزانيا أن يكون لديها القدرة المالية على شرائها، أو الحصول عليها بأية وسيلة تراها مناسبة لها، ولكن الإنجليزية كلغة لا يمكن أن تكون مالاً لشراء العلوم والتكنولوجيا لتنزانيا، أو لغير تنزانيا، لأنها (أي الإنجليزية) كانت موجودة لسنين طويلة، ومازالت تنزانيا متخلفة علمياً وتكنولوجياً، ومن ناحية التواصل مع العالم فإن العالم به لغات كثيرة جداً وليس الإنجليزية فقط، والتواصل مع العالم يحتاج إلى سياسة لتعلم وتعليم لغات أجنبية مختلفة للتنزانيين وليس لغة الدولة التي استعمرت تنزانيا، وظن أهلها أنها هي اللغة القادرة على حل كل مشاكل العالم، والتبادل التجاري مع الدول الأخرى لا يحتاج إلى معرفة لغة كل إنسان تبيع له أو تشتري منه وما يحتاجه الإنسان فقط

هو السلعة الجيدة، ذلك لأن كثيراً من المستثمرين تعج بهم تنزانيا، ليس لأنهم يعرفون الإنجليزية أو السواحيلية جيداً، وإنما لأنهم يبحثون عن الثروات في باطن أرض تنزانيا. وأما من ناحية التسهيل على المستثمرين، فالتنزانيون استخدموا اللغات الأجنبية في المدارس قرابة مائة عام منذ بداية الاستعمار، ولم يستطيعوا القيام بأي نشاط تجاري دولي، ولم يجلبوا التكنولوجيا لبلدهم، ولم يكتشفوا أو يخترعوا أي شئ يخلصهم مما هم فيه، ومع أن التنزانيين استخدموا الإنجليزية فترة طويلة جداً لم يستفيدوا حتى اليوم من هؤلاء المستثمرين، بالرغم من أن المستثمرين أنفسهم أصبحوا من أصحاب الملايين أو ربما المليارات(٦١).

أيضاً، هل السواحيلية لغة حديثة العمر، أو غير ناضجة لا يمكن استخدامها في العلوم والتكنولوجيا؟ ويرد كاتبان ألفا كتاباً بالسواحيلية عن "الكمبيوتر" وكيفية إجادته على هذا السؤال بقولهما(٦٢): "اللغة وسيلة مهمة جداً في تعليم أي علم من العلوم، فالتلميذ الذي يعلم بلغة لا يجيدها تماماً يكون أمام مهمتين رئيستين: الأولى: محاولة فهم معاني الكلمات التي يسمعها أو يقرأها، الثانية: الحصول على مضمون المعرفة الموجودة في الكلام الذي يقرأه أو يسمعه، وعلى سبيل المثال إذا شرحت لإنسان لا يتحدث السواحيلية وقلت له: إن "الثعبان ليس له أرجل Nyoka hana miguu" عليه أن يعرف أولاً معاني الكلمات الثلاث قبل أن يتعلم أن الثعبان مخلوق ليس له أرجل، لكن عندما يتعلم الإنسان بلغة يتمكن منها تماماً يكون أمام مهمة واحدة فقط هي الحصول على المعرفة المرجوة من الكلام المسموع أو المقروء". ثم يقولان: "وهذه الحقيقة المذكورة أعلاه هي أحد الأسباب التي جعلتنا نكتب هذا الكتاب باللغة السواحيلية لإفادة القراء الذين يعرفون هذه اللغة، والسبب الثاني يتمثل في الحقيقة بأن قضايا الكمبيوتر وعلومه تزداد انتشاراً في أوساط

الذين يتحدثون السواحيلية خصوصاً ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، الذي يقال: إنه عصر العلوم والتكنولوجيا"[٦٣].

الأسباب التي أدت إلى عدم تغيير السياسة اللغوية في تنزانيا:

استخدمت السواحيلية في زمن الاستعمار الإنجليزي كلغة تعليم في مرحلة التعليم الأساسي حتى الصف السادس الابتدائي "Darasa la sita" وبداية من عام ١٩٦٨م، أصبحت السواحيلية لغة تعليم في كل مرحلة التعليم الأساسي. واستمرت الإنجليزية كلغة تعليم في التعليم الثانوي حتى عام ١٩٧٤م، وبعد ذلك كان يأمل أن تستخدم السواحيلية وحدها (طبقا لما جاء في الخطة الخمسية الثانية ١٩٦٩م – ١٩٧٤م Mpango wa pili wa miaka mitano)، ومن ثم كانت الحكومة تأمل أن تحل السواحيلية محل الإنجليزية لغة تعليم في مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي بداية من السبعينيات. ولسوء الحظ لم يتحقق هذا الأمل. وقد اقترحت لجنة ماكويتا "Makweta" عام ١٩٨٢م اللغة السواحيلية كلغة تعليم، ولكن الحكومة في ذلك الوقت لم تنفذ هذا الاقتراح، واقترحت مسودة السياسة اللغوية لعام ١٩٨٨م والتي أصدرتها الوزارة التي كانت معنية بالثقافة في ذلك الوقت أن تكون السواحيلية هي لغة التعليم، ولم يتم تمرير هذا الاقتراح (وزارة تنمية المجتمع والثقافة والشباب والرياضة Wizara ya Maendeleo ya Jamii, Utamaduni, Vijana na Michezo 1988). وفى عام ١٩٩٧م، وافقت الحكومة والبرلمان على السياسة الثقافية التي أعدتها وزارة التعليم والثقافة، وكان من بين مقترحات هذه السياسة الثقافية مقترح استخدام السواحيلية كلغة تعليم في كل المراحل التعليمية، حيث تصرح الفقرة ١. ٤. ٣ من هذه السياسة بأنه [٦٤]:

"Mpango maalumu wa kuiwezesha elimu na mafunzo katika ngazi zote kutolewa katika lugha ya Kiswahili utaandaliwa na kutekelezwa"

" سيتم إعداد وتنفيذ خطة محددة ليصبح التعليم في كل المراحل التعليمية باللغة السواحيلية".

وانعقد مؤتمر قطاع الثقافة "Mkutano wa sekta ya utamaduni" في مدينة أروشا "Arusha" في الفترة من ٢٤ إلى ٢٨ مايو عام ١٩٩٩م، واقترح المؤتمر خطة لتنفيذ هذه السياسة. وفى ذلك الوقت، كان الرئيس بنيامين مكابا "Benjamin Mkapa" هو الرئيس الثالث لتنزانيا بعد الاستقلال. ووجه مكابا دعوة للمواطنين للاستمرار في النقاش المجتمعي حول مسألة لغة التعليم، وليس لتنفيذ القرارات التي تم اتخاذها. ولم يتم تنفيذ كل هذه المقترحات والقرارات(٦٥). ومن ثم، السؤال المطروح هو: لماذا لا للسواحيلية، وما هي الأسباب والمعوقات؟

لماذا لا للسواحيلية؟: الأسباب والمعوقات:

لا يمكن لتنزانيا أن تتقدم خطوة كدولة مستقلة بدون الحديث بصراحة عن المشاكل التي تتعلق بالسياسة، والثقافة، والاقتصاد، ومواجهتها وحلها، ليس فقط لتطوير لغاتها الكثيرة والتعليم فيها والعلوم والتكنولوجيا، بل لتطوير وتحسين كل المجالات المهمة التي تخص إنقاذ واحترام الإنسان، كالتعليم، والثقافة، والتجارة. قادة تنزانيون كثر "يستمعون لمستشاريهم الأجانب أكثر من استماعهم لمستشاريهم التنزانيين، ولكن وحتى إذا كانت خبرة المستشارين الأجانب متساوية مع خبرة التنزانيين؛ فإن التنزانيين أدرى ببيئتهم وبمشاكلهم أكثر من غيرهم، ومن ثم فإن مشورتهم أفضل من مشورة الأجانب، ولقد بح صوت كثير من الباحثين التنزانيين

فيما يتعلق بلغة التعليم في تنزانيا ولكن سخروا منهم، واستهزأوا بآرائهم، مثلما يستهزأ بكل المصلحين في كل زمان ومكان"[٦٦].

وعلى سبيل المثال، كان يوجد في داخل وزارة التعليم والثقافة في عام ٢٠٠٤م (أي بعد مرور أكثر من ٤٠ عاماً على استقلال تنزانيا) مستشارون أجانب . معظمهم بريطانيون . وتمحورت مشورتهم أكثر "حول جعل التعليم والثقافة في تنزانيا يتشابهان مع التعليم والثقافة في بريطانيا (برطنة)، من أجل أن يشعر البريطانيون بأنهم مازالوا في بريطانيا عندما يكونون في تنزانيا، ومثل هذه المشورات لا تخص تنزانيا ولا تفيدها، ولذلك لا تحتوي على أية مصلحة للتنزانيين ودولتهم، وبما أن هؤلاء المستشارين جزء من منظومة المانحين والمستعمرين القدامى الجدد فإنهم عادة ما يضغطون على الحكام التنزانيين، وعلى واضعي السياسة اللغوية وعلى من بيدهم القرار، في مقابل تفضلهم عليهم بالأموال التي تدفع لهم في الخفاء، مثلاً يحصل الموظفون في لجنة الرئيس لإصلاح الشركات الوطنية " Tume ya Rais ya kurekebisha mashirika ya umma" على مرتبات تقدر بثلاثة ملايين شلن تنزاني في الشهر الواحد على الأقل، وهي النسبة المقررة دولياً لأجور الاستشارة (العمل كمستشار)، وهذا الرقم يعادل مائة دولار أمريكي في اليوم أو ثلاثة آلاف دولار أمريكي في الشهر، ولا يصل مرتب كل المواطنين التنزانيين الآخرين حتى إلى ربع مليون شلن في الشهر، والأسوأ من ذلك أن الجهة التي تمنح هذه المرتبات هي البنك الدولي ومؤسسات مالية خارجية أخرى، وهذه في الواقع رشوة تقدم لقلة من التنزانيين، ومن يُمْنَح هذه المنحة (الرشوة)، لا يستطيع أن يرفض أبداً ما يمليه عليه المانح (مقدم الرشوة) (والتي يطلق عليها بلغة ملطفة: مرتب يقدر خبرة الإنسان والاهتمام بقوى

السوق(Mshaharaunaoheshimu ujuzi wa mtu na kujali nguvu za soko)"[٦٧]"

والواقع يقول إن هذه القلة من المستشارين التنزانيين يساعدون المستعمرين الجدد ليطوروا الاستغلال الذي كان موجوداً في عصر الاستعمار القديم، ومن ناحية أخرى مفردات مثل: "الاستغلال"، و"العملاء"، و"النهب" هي مفردات لا تروق لمن يطلق عليهم "جماعات السوق الحر"، كما يسميهم تشاتشاجي "Chachage" في روايته التاريخية "رهط السوق الحر Makundi ya Soko Huria"[٦٨]، لأنهم بقبولهم لهذه الرشى فإن "هؤلاء التنزانيين قد وافقوا على أن يصبحوا من ضمن رهط السوق الحر، وفي الواقع فإن القرارات والسياسات التي مررها هذان الطرفان؛ أي "الممنوح" و"المانح" لا يمكن تقديرها، ولا يمكن تثمينها، ولا إنفاذها، وحتماً، إن لم يواجهها الجيل الحالي، فإن الأجيال القادمة ستقف حائلاً دون تحقيقها، ومثل هذه القرارات وتلك السياسات لا تنتهي عند الاقتصاد بل ارتبطت باللغة والثقافة"[٦٩].

فلجنة نظام التعليم للقرن الواحد والعشرين " Tume ya Mfumo wa Elimu ya Karne 21 " والتي اقترحت "استمرار الإنجليزية كلغة تعليم في المراحل التي تلي مرحلة التعليم الأساسي مُنِحَت (رُشِيتَ) من قبل البنك الدولي ومن قبل "DANIDA"، ودعت هذه اللجنة لمؤتمر وضم هذا المؤتمر ٨٠ شخصاً من المشاهير ومن بينهم المانحين وذلك لمناقشة سياسة التعليم في تنزانيا . ومن ضمنها السياسة اللغوية، وليس من السهل على المانح الذي أنفق على المؤتمر "Si rahisi mfadhili aliyetoa pesa kugharimia kikao" أن يقابل بجفاء، أو تترك لغته التي يريد أن يتم التعليم بها في الوقت الذي يتتبعهم هذا المانح نفسه في مؤتمراتهم، ولم يذكر تقرير هذه اللجنة أسماء كل المانحين الذين حضروا هذا المؤتمر ولا قيمة المبالغ المالية التي دفعوها، بالرغم من أنها قالت (أي

اللجنة): إن ممثلين لشركات المانحين حضروا المؤتمر، فالوثوق في المستشارين الأجانب مثل: البنك الدولي، أو بريطانيا، أو في شركائهم مثل "DANIDA" هو عبارة عن وثوق في سراب وإسقاط للوطن بثمن بخس"(٧٠).

أيضاً خطة البنك الدولي لدعم وتحسين التعليم الأساسي في تنزانيا تدل على ما سبق، لكن لأنه يدفع لقلة قليلة جداً من التنزانيين أموالاً كثيرة؛ فإنه يحجز هذه المبالغ الكبيرة في خزانته حتى يضمن تنفيذهم لكل ما يؤمرون به، وقال البنك الدولي بدون خجل: "تدرك الحكومة التنزانية أن حصولها على أمواله من أجل دعم التعليم في المرحلة الأساسية ربما يكون له فوائد كثيرة اجتماعياً، واقتصادياً، وخصوصاً أن التعليم في المرحلة الأساسية الذى يمتاز بجودة عالية يسهم في تقليل نسبة الفقر، ويساعد على تطوير الإنسان"[٧١].

والفكرة السابقة هي فكرة البنك الدولي، ولكن عندما "صُدِّرتَ إلى تنزانيا أصبحت فكرة وزارة التعليم والثقافة، وتحدث المسؤولون فيها (في الوزارة) عن هذه الفكرة تحت مسمي "MMEM" (خطة تطوير التعليم الأساسي Mpango wa maendeleo ya elimu ya msingi). ولم يُذكر اسم البنك الدولي كلاعب رئيس ومصْدَر هذه الفكرة، بالرغم من وجود هذه الخطة في الدول الفقيرة فقط في كل أنحاء العالم. وفى الحقيقة هدف البنك الدولي هو إقحام نفسه في التعليم الأساسي، ليس من أجل تطويره كما يدَّعي، بل لإضعافه، ونزع سلطان الحكومة عن التعليم الوطني حتى يفقد البوصلة، ويصبح بلا معنى، وبهذا يحصل البنك الدولي على ثغرة يتسلل منها، ويغرس أيديولوجية العولمة بسهولة أكثر من خلال عقول الأطفال الصغار في مرحلة التعليم الأساسي"(٧٢).

ووضع السياسات التي تقود الدولة يبين أن كثيراً من واضعي هذه السياسات لا يفهمون، ولا يعظمون المهمة الثقيلة الملقاة على عاتقهم، لأنهم "يجنون المكاسب الموسمية السريعة، خصوصاً بدلات السفر، والاجتماعات، والمؤتمرات، وحلقات النقاش، ووضع أو إصلاح سياسة من السياسات التي يحصلون عليها من المانحين، وتوجد أمثلة حية على ذلك تنتشر في كل قطاعات الدولة التنزانية؛ في القطاع الخاص، وفى القطاع العام "Sekta ya umma na ya binafsi" حيث إن القادة كممثلين للشعوب يتدافعون بل ويتنافسون فيما بينهم للحصول على منح المانحين لإصلاح السياسات المختلفة، ويقودهم هؤلاء المانحون ويراقبونهم عن قرب، وهذه الأموال التي تصرف لقلة من التنزانيين عبارة عن رشى للوزارات، والإدارات، و"AZISE" كما يحدث في هيئة "PSRC" حيث يحصل موظفوها على مرتبات ومكافآت دولية من أجل إعادة هيكلة بعض المؤسسات في الدولة، وهذا فخ وسَّمٌ، ويجب على الدولة التنزانية أن تدرك أنها ستدفع ثمنه غالياً في المستقبل (Ni mtego na sumu ambavyo Tanzania ielewe kuwa italipa gharama yake kamili mbele ya safari)"[٧٣].

وكثير من المسؤولين المشرفين على هذه السياسات، والقادة في الحكومة، بالإضافة إلى العلماء، وأعضاء اللجان المختلفة المنوط بهم مسؤولية تقديم المقترحات المهمة والمؤثرة التي تخص الوطن يواجهون مشكلتين: "الأولى: هم يملكون مكانة مرموقة (بحكم مواقعهم) بدون مرتبات تتلائم مع تبعات هذه الدرجة، وتلك المكانة. الثانية: نظراؤهم في الخارج يحصلون على مرتبات مجزية، ويحيون حياة مرفهة جداً، فمرتباتهم المتدنية جداً تقلل من هيبتهم واحترامهم. وعوزهم هذا هو الذي يجعلهم يتلقون اقتراحات المانحين وينفذونها، حتى لا يحرموا من المنَّة فيما بعد، ومن ثم، يقولون: إنها اقتراحاتهم هم، وبالتالي اقتراحات تنزانيا

والتنزانيين، بدون الاستقصاء عن نفعها من عدمه، هذه عينة من الرشوة التي يبذلها المانحون لهذه اللجان؛ لكي يحكموا هم ودولهم قبضتهم على تنزانيا وعلى كل الدول الشبيهة بها، وعندما يناقشون السياسات المختلفة في الندوات، والمؤتمرات فإن التوصيات تخرج باسم المؤتمرين، أو باسم التنزانيين، في حين أن الذين وضعوا هذه السياسات وخططوا لها هم المانحون الأجانب لمصلحتهم وفائدتهم، وثمة أمثلة كثيرة لأفكار واقتراحات المانحين التي توضع لتنزانيا وباسم تنزانيا في سياسات الخصخصة، وتوسيع تقليد سياسة تعدد الأحزاب، واقتصاد السوق الحر ورفع قبضة الدولة عنه، وإصلاح التعليم وبرامجه لتتشابه مع المعايير الدولية. وعلى سبيل المثال لم تمول الحكومة التنزانية عدة حلقات بحثية لتثبيت الإنجليزية وجعلها لغة تعليم (Semina Kadhaa za Kuimarisha lugha ya Kiingereza na kuifanya ya kufundishia haikugharimiwa na serikali ya Tanzania) بالرغم من أن التوصيات والقرارات خرجت باسم تنزانيا"[٧٤].

ومنذ عهد الاستعمار، كانت تنزانيا قد اتبعت سياسة لغوية ثنائية في التعليم، والسواحيلية هي التي تستخدم في مرحلة التعليم الأساسي في حين أن الإنجليزية تستخدم في التعليم الثانوي والجامعي، وقد كانت هذه السياسة اللغوية "عائقاً أمام استخدام السواحيلية فقط في التعليم بسبب التعوُّد . المسؤولون التنفيذيون اعتادوا الإنجليزية، وخشي بعضهم من تغيير لغة التعليم، حتى لا يؤدي ذلك إلى الإخلال بالعملية التعليمة وبنظام التعليم . ومن هنا، ما كان يجب عمله هو الإعلان منذ البداية بأن السياسة اللغوية الثنائية في التعليم هي مرحلة انتقالية فقط إلى حين استكمال الاستعدادات تمهيداً لاستخدام السواحيلية وحدها في التعليم، وأحد النتائج التي ترتبت على هذه السياسة اللغوية الثنائية في التعليم في تنزانيا هو أنه بالرغم

من أن المعلمين والطلاب يستخدمون السواحيلية في مدارس ثانوية كثيرة للتفاهم؛ مازالوا يجبرون (أي الطلاب) على كتابة الاستشهادات والامتحانات بالإنجليزية، ولذلك يوجد طلاب كثر يستطيعون تحصيل دراستهم بالسواحيلية، ولكنهم يرسبون في الامتحانات، لأنهم لا يستطيعون الإجابة على الأسئلة بالإنجليزية، ولا يسمح لهم الإجابة بالسواحيلية"(٧٥).

ويظهر التناقض أيضاً بين السياسة الثقافية والسياسة التعليمية. فرغم أن هاتين السياستين خرجتا من رحم وزارة واحدة هي وزارة التعليم والثقافة لكنهما في الواقع متناقضتان، فالسياسة "الثقافية توصي باستخدام السواحيلية في كل مراحل التعليم، ولكن السياسة التعليمية تقول: إنه يجب استخدام السواحيلية حتى الصف السابع من التعليم الأساسي "Darasa la saba" ومعاهد المعلمين فقط Vyuo vya walimu وفى الماضي، كانت تدرس بعض المواد الدراسية في المدارس الثانوية "Masomo kadhaa ya sekondari" باللغة السواحيلية طبقاً للسياسة اللغوية، وهذه المواد هي مادة اللغة السواحيلية نفسها، ومادة علم السياسية "Elimu ya siasa" ولكن الوضع تغير الآن*، لأنه بعد إجراء تعديلات على مسميات المواد، أعادت الوزارة مادة "التربية الوطنية/المواطنة Uraia" بدلاً من مادة علم السياسة، وقررت تدريسها بالإنجليزية بدلاً من السواحيلية"(٧٦).

وثمة تناقض آخر في السياسة اللغوية يتعلق بوزارة التعليم والثقافة. فالسواحيلية هي لغة التعليم في مدارس التعليم الأساسي في تنزانيا طبقاً للسياسة الرسمية للغة التعليم، ولكن "تنفيذ هذه السياسة يتم بشكل انتقائي، فبعض المدارس خصوصاً الحكومية تُجْبَر علي الالتزام بهذه السياسة، في حين أن البعض الآخر، خصوصاً

* المقالة التي اعتمد عليها الباحث في هذه النقطة نشرت عام ٢٠٠٥.

المدارس الخاصة "Hasa za watu Binafsi" سمح لها باستخدام الإنجليزية في التعليم بدءاً من مرحلة الحضانة "Kuanzia ngazi ya chekechea" وحتي الصف السابع، والكلام هنا لا يتعلق بالمدارس الدولية "Shule za kimataifa" والتي تختلف أهدافها في كل الأحوال عن أهداف المدارس التنزانية، ولكن الحديث هنا عن المدارس التنزانية المدعومة من الدولة، وبعض هذه المدارس الدولية أو "الأكاديميات" كما تحب أن تسمي نفسها تعلن أنها دولية، بالرغم من أن "دوليتهم" لا تظهر، بالإضافة إلى استخدامها الإنجليزية في التعليم، وتغني للأطفال أغاني بالإنجليزية لخداعهم بكلام معسول، وفى الحقيقة هذه المدارس تعلم الأطفال التنزانيين وليس الأطفال الأجانب، ومن ثم يتحتم عليها أن تعد هؤلاء الأطفال لخدمة وطنهم في المستقبل. إنه خطر على الأطفال في هذه المرحلة أن يتعلموا في منظومة لا تزرع الوطنية في أنفسهم"(٧٧).

وثمة معوِّق آخر هو انعدام الدعم السياسي والدستوري، هذا المعوق الآخر الذي يقف حائلاً دون استخدام السواحيلية لتكون لغة تعليم في المراحل التعليمية المختلفة يتمثل في "انعدام الدعم السياسي والدستوري Kukosa msukumo wa kisiasa na kisheria عندما قرر الألمان والبريطانيون استخدام السواحيلية في التعليم في المراحل الدنيا (مرحلة التعليم الأساسي)؛ كانوا بهذا قد اتخذوا قراراً ودعموه سياسياً مما أدى إلى نجاحه، أيضاً، قدم البريطانيون دعماً سياسياً لاستخدام الإنجليزية كلغة تعليم في المرحلة الثانوية، وتبدَّى هذا الدعم في السياسة اللغوية، وفى العملية التعليمية، وفى الميزانية العامة. وقدمت حكومة المرحلة الأولى "Serikali ya awamu ya kwanza" دعماً سياسياً يدعم السواحيلية لغة تعليم في مرحلة التعليم الأساسي، وفى تسيير أعمال الحكم "Shughuli za utawala" وفى الجيش، وفى السياسة. وتم التنفيذ بسرعة

وبنجاح. واليوم عندما يشاهد التنزانيون أسماء المكاتب، والدرجات الوظيفية "Vyeo vya kikazi" وأسماء الأحياء والشركات قد كتبت بالسواحيلية، وعندما يتابعون مناقشات البرلمانيين في البرلمان بالسواحيلية، ينسون أن الأمور لم تكن هكذا عشية الاستقلال، وعلى سبيل المثال في عام ١٩٦١م، ما كان يستطيع المواطن التانجانيقي العادي أن يدخل البرلمان أو متابعة مناقشات البرلمان؛ لأن اللغة المستخدمة غريبة عليه، ولذلك فإن تغيير لغة التعليم الذي تم في الستينيات، وقاده الرئيس جوليوس نيريري "Julius Nyerere" ورشيد مفاومى كاواوا "Rashid Mfaume Kawawa" كان تغييراً ثورياً، يرى ثماره اليوم المواطن التنزاني، ونجاح هذه القرارات السياسية كان فقط بسبب الدعم السياسي الذي قدمته الحكومة والحزب الحاكم في تلك الآونة"(٧٨).

ولسوء الحظ، لم يعد لهذا الدعم السياسي وجود. فالحكومة (بمعني كبار قادة الحكومة، ناهيك عن القيادة الثقافية المعنية أساساً باللغة السواحيلية) "لا تبالي، ولا تدعم الجهود المعنية بتطوير السواحيلية، أيضاً لا تهتم الأحزاب السياسية على الإطلاق بالسياسة اللغوية في بياناتها الرسمية، فالقلة القليلة فقط من قادة الأحزاب هي التي تحدثت عن هذه المسألة، وكلهم تقريباً رفضوا السواحيلية كلغة تعليم. وعلى سبيل المثال صرَّح الدكتور تشي مبوندا "Dkt. Che-Mponda" بأنه إذا كان حزبه سيصل إلى سدة الحكم في تنزانيا؛ سيتأكد من أن الإنجليزية تستخدم كلغة تعليم في كل مراحل التعليم وفى كل المدارس*، وقال الدكتور ماسومبوكو لامواي "Dkt. Masumbuko Lamwai" في البرلمان بأنه لا يجوز ترجمة

* يرى الباحث أن هذا التصريح يداعب أصحاب الإنجليزية فى الخارج ليدعموه، ومن ثم يصل هو وحزبه إلى سدة الحكم!!.

الدستور إلى السواحيلية "Haifai Kutafsiri sheria kwa lugha ya Kiswahili" أما من جانب قيادات الحزب الحاكم والذين هم قيادات الحكومة أيضاً، فقد صرح الرئيس مكابا "Rais Mkapa" أن مسألة لغة التعليم ستطرح للنقاش المجتمعي! ومع أن تصريح مكابا يبدو للوهلة الأولى تصريحاً ديمقراطياً، إلا أنه لا يقدم الدعم السياسي للسواحيلية، لأنه يعيد التنزانيين إلى الفترة من عام ١٩٧٠م إلى عام ١٩٩٠م، حيث عقدت مناقشات وحوارات كثيرة جداً حول هذه المسألة في الصحف، وفى الإذاعة، وفى المؤتمرات والندوات، وفى حقيقة الأمر التنزانيون في هذه المرحلة لا يحتاجون للمناقشات والمؤتمرات، ولا للنقاش المجتمعي، ولكنهم ينتظرون قراراً تنفيذياً باستخدام السواحيلية كلغة تعليم في كل المراحل، ويريدون من حكومتهم خطة للتنفيذ، وميزانية عامة لهذه الخطة، ودعماً سياسياً"(٧٩).

ومن الناحية الدستورية، تطوير السواحيلية لم يحصل "حتى الآن (حتى ٢٠٠٥) على دعم دستوري، لم يصرح دستور البلاد بأن السواحيلية لغة الدولة، وبأنها اللغة الرسمية في أعمال الحكومة، وأنها اللغة الرسمية في التعليم. ولم يصرح أي دستور بهذا، وبناءً عليه إذا رفض إنسان ما استخدام السواحيلية في التعليم أو في أي عمل آخر؛ لا يمكن معاقبته قانونياً. وعلى سبيل المثال، منذ أن سمح للأفراد "watu binafsi" بتأسيس محطات الإذاعة والتلفزيون الخاصة، لا يوجد تشريع وطني يبين اللغة المستخدمة في البرامج التي تبثها هذه المحطات، وفي دول كثيرة يجبر مالكو هذه المحطات التلفزيونية والإذاعية الخاصة عن طريق القوانين والتشريعات ببث نسبة مئوية محددة من برامجها باللغة الوطنية، ويلزمون أيضاً بترجمة نسبة مئوية محددة من البرامج الأجنبية (التي تبث بلغة أو بلغات أجنبية غير اللغة الوطنية التي يتحدثها أهل البلاد) إلى اللغة الوطنية قبل عرضها، ولكن الأمور تسير بعشوائية في تنزانيا، يفعل كل إنسان ما يحلو له، ويمكنه أن يقرر

عدم استخدام السواحيلية تماماً، ولا تأخذ ضده أي إجراءات قانونية، لاشك أن انعدام الدعم السياسي والدستوري عوَّق الإعدادات السابقة الرامية لتمكين السواحيلية لتكون لغة تعليم في المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، وعلى سبيل المثال، لا توجد برامج لإعداد عدد كاف من المعلمين للغة السواحيلية، ولا توجد خطط لتدريب المعلمين الموجودين بالفعل ليتمكنوا من مواكبة التطورات التي تطرأ على لغة التعليم، ولا توجد خطط كاملة لكتابة وشرح وطباعة كل كتب المقررات الدراسية في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي، أيضاً لا توجد خطط لإعداد المترجمين والمفسرين، وما يحدث يشبه إضراباً صامتاً داخل الحكومة التي ترفض أو تخاف من تنفيذ قراراتها التي اتخذتها بنفسها"(٨٠).

ويوجد عائق آخر يقف حائلاً دون استخدام السواحيلية لتكون لغة تعليم في كل المراحل التعليمية، وهو التقليد الأعمى للغير، وإشكالية التقليد لها "وجود في المجتمعات الإفريقية، بالرغم من أنه لا يتم مناقشتها في هذا العصر، وهذه هي مشكلة الإنسان الإفريقي في كل أنحاء العالم، وسببها هو أن الإنسان الإفريقي تم الهيمنة عليه سياسياً، وثقافياً، واقتصادياً، وعلمياً. ولذلك فهي إشكالية خطيرة أكثر مما يتخيل المرء، ولا تبذل حتى الجهود الكافية لحلها. وعلى سبيل المثال، في عالم اليوم، الإفريقي وحده هو الذي يرفض لونه، ويحاول جاهداً أن ينسلخ منه، والإفريقي وحده هو الذي يرفض لغته، وملابسه، وحتى أسماء قبيلته، ويهرول مقلداً للآخر. وهذه قضية سيكولوجية، وأيديولوجية، ولا يمكن مواجهتها وحلها بدون مصارحة ومواجهة حاسمة في كل المجالات: في الثقافة، والتعليم، والدين، والفلسفة، واللغة، ووسائل الترفيه، والفنون، والسياسة، والاقتصاد، والتنزاني الذي يهرول ليقلد الآخر في كل شيء، لا يمكن أن يطور، أو بالأحرى يسعي إلى تطوير السواحيلية، ولابد أن يفضل الإنجليزية، لأنه يعتقد أن التحدث بالإنجليزية هو الذي

يظهره بمظهر المثقف، والمتمدن. ومن سوء الطالع، الذي ينسلخ من هويته عادة ما يقلد السلبيات، بدلاً من تقليد إيجابيات سيده Huiga mabaya badala ya mazuri kutoka kwa bwana wake ويتخلى عن إيجابياته الذاتية، ويبقي على السلبيات"(٨١).

وهذا يجعل المقلدين مترددين، ولا يثقون في أنفسهم؛ لأن كثيراً من القادة والمثقفين تجرأوا على "التصريح بأنه لا يمكن استخدام لغة إفريقية في التعليم، لأن بعضهم يعتقد جازماً بأن الإفريقي "وضيع" ومن ثم فإن لغته بالتبعية "حقيرة" Baadhi yao wanaamini kwa dhati kuwa Mwafrika "ni duni" na "ni duni hivyo lugha yake pia" والسبيل الوحيد للتفلُّت من هذه "الدونية" هو أن يحاول الإنسان الإفريقي ما وسعته المحاولة أن يكون "أوروبيا" أو "عربياً" أو "إيرانيا"، وعند الحديث عن لغة التعليم، نلمس عقدة التقليد في موقف بعض المسؤولين المنوط بهم اتخاذ القرارات، والذين يرفضون تماماً الموافقة على استخدام السواحيلية كلغة تعليم بدعوى أنها لم تنضج بعد "Hakijakomaa" ولن تنضج "Hakitakomaa" أو بمزاعم أممية زائفة، وانعدام الدعم المالي... وهلم جرا، ويمكن ملامسة إشكالية التقليد في المدراس، حيث مازال الأطفال – حتى عام ٢٠٠٠م – يضربون بالعصي، لأنهم يتحدثون بالسواحيلية أو بلغات قبائلهم في محيط المدرسة، ويمكن رؤيتها بين التلاميذ (وحتى عند أولياء الأمور) الذين لا يستطيعون أن ينطقوا جملة واحدة صحيحة بالإنجليزية، ولكنهم مازالوا يريدون التعلم بها، أي أنهم يختارون الإخفاق في التعليم بسبب عدم معرفتهم للغة التي تستخدم في توصيله (الإنجليزية) أكثر من الحصول عليه والنجاح فيه بلغتهم الوطنية (السواحيلية) التي يجيدونها"(٨٢).

والعولمة التي يحاول أصحابها فرضها على العالم فرضاً تساعد على تدعيم التقليد. فالعولمة بالنسبة للإفريقي لا تعني "المشاركة بندية في النظام الاقتصادي والثقافي العالمي، ولكنها تعني بالنسبة له تلقي – بوعي أو بدون وعي – المنتج الثقافي والاقتصادي الذي يقدمه له الآخر، خصوصاً الآخر الغربي، ولا يراد له أن يساهم بمثقال ذرة في خلق النظام العالمي التكنولوجي والثقافي الجديد. وبالتالي يستمتع الإنسان الإفريقي بالترفيه القادم له من هوليوود وأوروبا، ويتتبع بدقة أخبار وفضائح السياسيين والأبطال هناك في أوروبا وأمريكا، بدلاً من الاهتمام بأخبار وطنه وقارته، ويستخدم التنزاني توصيفات المقررات الدراسية البريطانية لتعليم أبناء تنزانيا في الأكاديميات المزيفة، بدلاً من استخدام توصيفات المقررات الدراسية التنزانية، أو حتى توصيفات المقررات الدراسية الخاصة بالدول المتقدمة تكنولوجيا وعلمياً أكثر من بريطانيا، ويسعد الإنسان الإفريقي ويفتخر بأحدث أنواع السيارات المستوردة من اليابان، وكوريا، وأوروبا، في الوقت الذي يفشل فيه بإنشاء مصنع لتصنيع الدراجات وتصديرها إلى أوروبا"(٨٣).

ومن المؤسف، فإن تقليد القادة متخذي القرار للآخر يفوق بكثير تقليد المواطن العادي، بسبب "نوعية التعليم الذي حصلوا عليه، والبيئة المحيطة بهم، وأسلوبهم في الحياة، والفرص المتاحة أمامهم، ولأن هؤلاء الناس هم من بيدهم القرار في القضايا السياسية (ومن بينها السياسة اللغوية والثقافية)، فإن تقليدهم لكل ما عند الآخر يمثل عائقاً كبيراً أمام تنفيذ السياسة اللغوية التي تتعلق بلغة التعليم، وكثيراً ما يرتبط تقليد المسؤولين مع ادعاء المعرفة، فمن البديهي أنه إذا أراد القادة السياسيون في الحكومة أن يتخذوا قرارات تتعلق بشأن مهم؛ فإنهم يجب عليهم أن يتواصلوا أولاً مع العلماء المتخصصين في المجال الذي يريدون أن يتخذوا فيه قراراً، وبناءً عليه، يتم اتخاذ القرار. ولكن، وفيما يتعلق بمسألة اللغة المستخدمة في

التعليم، فإن كل مسؤول يعتبر نفسه عالماً ومتخصصاً، ولا يحبون استشارة أهل العلم الحقيقيين في هذا المجال، وهم علماء اللغة، وخبراء التعليم، ومن الواضح أن التنزانيين يحتاجون إلى نصوص تشريعية فيما يتعلق باللغة المستخدمة في التعليم في تنزانيا بداية من دستور البلاد وحتى في القوانين التي تخص الأنشطة والمؤسسات المختلفة الحكومية والخاصة وتشمل: الشركات، والمدارس، ووسائل الإعلام، والأنشطة التجارية، وعلى سبيل المثال يجب أن يعاقب جنائياً كل من ينشر سلعة في تنزانيا، ولا يكتب على ملصقاتها بالسواحيلية، ولا تتمثل أهمية مثل هذه القوانين والتشريعات في احترام الدولة فقط، ولكنها أيضاً مهمة لسلامة وصحة وحياة المواطنين"(٨٤).

وضعف المؤسسات المسؤولة عن تطوير اللغة السواحيلية يعد أيضاً عائقاً يقف حائلاً دون إنفاذ استخدام السواحيلية لتصبح لغة التعليم في تنزانيا، وتوجد مؤسسات كثيرة في تنزانيا مسؤولة عن هذا التطوير وهي:

١- "إذاعة تنزانيا وأنشأت عام ١٩٥٢م.
٢- وزارة الثقافة ١٩٦٢م.
٣- معهد بحوث اللغة السواحيلية (TUKI) ١٩٦٤م.
٤- شركة طباعة الكتب في تنزانيا (TPH) ١٩٦٦م.
٥- مجمع اللغة السواحيلية الوطني (BAKITA) ١٩٦٧م.
٦- قسم اللغة السواحيلية بجامعة دار السلام ١٩٦٨م.
٧- شركة شرق إفريقيا لطباعة الكتب (١٩٤٨م) ١٩٧٧م.
٨- معهد اللغة السواحيلية واللغات الأجنبية في زنجبار ١٩٧٨م.
٩- مجمع اللغة السواحيلية في زنجبار(BAKIZA) ١٩٨٦م.

وتوجد أيضاً مؤسسات أخرى، وتتمثل في الجمعيات الأهلية "vyama na vikundi vya wananchi wenyewe" مثل جمعية معيارية اللغة السواحيلية، والشعر في تنزانيا Chama cha Usanifu wa Kiswahili na Ushairi Tanzania (UKUTA)، واتحاد الكتاب التنزانيين في تنزانيا Umoja wa Waandishi wa Vitabu Tanzania (UWAVITA)، وجمعية الناشرين التنزانيين في تنزانيا Chama cha Wachapishaji wa Vitabu Tanzania (PATA). ولكى يتم إنفاذ سياسة استخدام السواحيلية كلغة تعليم يجب على هذه المؤسسات أن تولى هذه المسألة اهتماماً كبيراً، وأن تقوم بعملها بالطريقة المرجوة، ولسوء الحظ فقد أظهرت التجربة أن هذه المؤسسات لم تنجح في القيام بمهامها بشكل كامل، إما بسبب انعدام الدعم المالي، أو لأسباب أخرى، فعلى سبيل المثال، باكيتا (BAKITA) (مجمع اللغة السواحيلية الوطني Baraza la Kiswahili la Taifa) وهو المسئول الرئيس عن تطوير ودعم السواحيلية، كان لفترة طويلة، يحصل على أموال فقط لدفع المرتبات للعاملين به، والقيام ببعض الخدمات البسيطة. ولذلك، فشل في القيام بمسؤولياته على أرض الواقع. وترتب على هذا الوضع أن هذا المجمع لا وجود له في الحقيقة، والموجودون هم العاملون به فقط، لأن أعضاء هذا المجمع لم يجتمعوا لمدة ١٥ عاماً! وليس هذا فحسب، فبالإضافة إلى الافتقار إلى المال، فإن "باكيتا" واجه لفترة معينة مشاكل في القيادة، واتهامات بتبديد المال"[٨٥].

أيضاً، لم "يغير معهد التعليم (Taasisi ya elimu) مختصر توصيف المقرر الدراسي لمادة اللغة السواحيلية لأكثر من ٢٠ عاماً. ومن ثم كانت المدارس في تنزانيا تدرس مقرر مادة اللغة السواحيلية الذي كان يدرسه الطلاب في عام ١٩٦٠م من القرن الماضي في عام ١٩٩٠م! ولقد ماتت الشركات الوطنية Mashirika

Au kuuawa kimya ya umma لطبع ونشر الكتب أو قتلت في صمت kimya، ولا وجود مرة أخرى لشركة شرق إفريقيا لطباعة الكتب (EAPL) ولا يعرف أحد كيف ينفق المال الذي ورثته عن شركة (EALB) ولمصلحة من؟ والشركة التنزانية لطباعة الكتب (TPH) علي وشك الموت، وتباع جثتها للساحر الذي يحتاجها، ويعيش مجمع اللغة السواحيلية في زنجبار (BAKIZA) حسب الأحوال والظروف، إجمالاً تعاني المؤسسات المنوط بها تطوير اللغة السواحيلية من أوضاع محزنة، باستثناء عدد قليل منها يحاول أن يدعم ويطور نفسه، وإذا كان التنزانيون يريدون حقاً أن تكون السواحيلية لغة تعليم في مدارسهم وجامعاتهم، يجب على الـ (TET) أن يعدوا توصيف مقرر لكل المواد الدراسية وإرشادات للمعلمين بالسواحيلية، ويجب على المسؤولين في معهد بحوث اللغة السواحيلية (TUKI) أن يعدوا كتب النحو، والصرف، والمعاجم، وشروحات للكتب التعليمية المختلفة، ويجب على مجمع اللغة السواحيلية الوطني (BAKITA) أن يجهز المصطلحات الكافية، وأن يشرف على خطة كاملة لتنفيذ هذا الهدف، وعلى الشركة التنزانية لطباعة الكتب (TPH) والشركات الخاصة لطباعة ونشر الكتب أن تعد وتطبع كل كتب المواد الدراسية ذات الصلة، ولكن الواقع يقول إن بعض هذه المؤسسات لن تستطيع القيام بهذا العمل، ومن ثم يجب أن يسأل التنزانيون أنفسهم سؤالاً وهو: هل يستطيعون حقاً أن يجعلوا السواحيلية لغة تعليم بدون تدعيم مؤسسات تنفيذ هذا القرار؟"(٨٦).

الخاتمة:

لقد تناولت هذه الدراسة السياسة اللغوية الرسمية في تنزانيا كما وضحتها وزارة التعليم والثقافة التنزانية عام ١٩٩٧م، وتطرقت إلى ما ذكرته هذه السياسة اللغوية الرسمية عن اللغة الوطنية (السواحيلية) وعن وضع اللغات القبلية، وما ذكرته بشأن اللغات الأجنبية، وما أعلنته عن لغة أو لغات التعليم في تنزانيا، ووضحت الدراسة التناقضات الكائنة بين السياسة اللغوية الرسمية المعلنة وبين تنفيذها على أرض الواقع، كما بينت الدراسة أيضاً الصراع اللغوي الناتج عن استخدام لغتين في العمل الرسمي الحكومي عند قادة الدولة، وفي البرلمان، وفي وسائل الإعلام، وعند تقديم الخدمات المجتمعية في البنوك وشركات الكهرباء والمستشفيات، واتضح من خلال هذا الصراع أن السواحيلية جاءت في الترتيب الثاني من حيث الاستخدام في الخدمات المجتمعية التي تقدم للمواطنين التنزانيين، في حين أن الإنجليزية جاءت في الترتيب الأول، ولم يتم استخدام اللغات القبلية على الإطلاق.

وتطرقت الدراسة إلى المراحل التاريخية التي مرت بها السياسة اللغوية في تنزانيا، وبينت في هذا السياق أنها مرت بأربعة مراحل هي مرحلة الاستقلال والوطنية والجهود الرامية إلى بناء الوطن الجديد المتحرر من المستعمر (١٩٦١م-١٩٦٧م)، ومرحلة وصول آمال وطموحات التنزانيين إلى القمة (١٩٦٧م-١٩٧٥م)، وتلتها مرحلة الغموض والتشوش (١٩٧٥م-١٩٨٢م)، وأخيراً المرحلة الرابعة التي يمكن أن نطلق عليها مرحلة اليأس والظلام (١٩٨٣م-١٩٩٠م)، وبعد ذلك انتقلت الدراسة إلى الأسباب والمعوقات التي تعوق استخدام السواحيلية في مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي، واتضح أن أسباب استمرار التعليم بالإنجليزية في تنزانيا تكمن في سياسات الضغط والإملاء والإجبار التي يتحتم على حكام تنزانيا أن

يرضخوا لها، وهم بدورهم يجبرون محكوميهم على اتباعها قسراً بدون مراعاة الحجج والبراهين البحثية، والعلمية، والتعليمية، واللغوية المنطقية.

وتبين أن المسألة سياسية أولاً وأخيراً؛ ترتبط بالحكم، والحاكم، وحكم الذات، وحكم الحاكم الخارجي (المستعمر القديم الجديد) للحاكم الداخلي، ثم قهر الحاكم الداخلي لمحكوميه ليقبلوا بما أملي عليه من الخارج، ومن ثم فإن رفض مقترحات ونتائج لجنة "ماكويتا" التي شكلتها الحكومة نفسها يشير إلى وجود إشكاليات كبيرة حول القرارات وتنفيذها في الحكومة ذاتها، فعدم القدرة على تنفيذ القرارات المهمة من أجل نهضة وتنمية مستدامة للتنزانيين ليست مشكلة سياسة لغوية أو انعدام البحث، ولكنها مشكلة الحكام الذين ارتضوا أن يحكموا بنظم معينة في زمن الاستقلال.

مراجع البحث:

[1] Wizara ya Elimu na Utamaduni. Sera ya Utamaduni. Dar es Salaam: 1997, Uk. 15.

[2] Mochiwa, Z.S.M. Kiswahili Kwa Kufundishia: Sera na Mikakati. Makala Katika Kioo cha Lugha, Jarida la Kiswahili la Isimu na Fasihi, Juzuu3, Idara ya Kiswahili, Dar es Salaam: Chuo Kikuu cha Dar es Salaam, 2005, Uk.57.

[٣] بعلبكي، رمزي منير. معجم المصطلحات اللغوية. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٠، ص ٢٧٥.

[٤] المرجع السابق، ص ٣٩٥.

[5] Mekacha, R. Isimujamii: Nadharia na Muktadha wa Kiswahili. Dar es Salaam: TUKI, 2011, Uk. 183.

[6] Massamba, David P.B. Kamusi ya Isimu na Falsafa ya Lugha. Dar es Salaam: Taasisi ya Uchunguzi wa kiswahili (TUKI), Chapa ya Kwanza, 2004, Uk. 78

[7] Wizara ya Elimu na Utamaduni. Sera ya Utamaduni. op. cit., Ku. 16-20.

[8] Mulokozi, M.M. Baadhi ya Vipingamizi vya Kiutawala vya Kutumia Kiswahili Kufundishia Sekondari na Vyuo. Makala Katika Kioo cha Lugha, Jarida La Kiswahili la

Isimu na Fasihi, Juzuu 3, Idara ya Kiswahili, Dar es Salaan: Chuo Kikuu cha Dares Salaam, 2005. Uk. 18.

[9] Wizara ya Elimu na Uamaduni. Sera ya Utamaduni. op. cit., Ku. 19-20.

[10] Ibid., Ku. 20-21.

[11] Ibid., Ku. 22.

[12] Ibid.

[13] Ibid., Uk. 23.

[14] Ibid., Ku. 23-24.

[15] Mohammed, Nunuu Abdullah. Mgongano wa Matumizi ya Lugha Mbili Tanzania. Makala Katika Kiswahili, Jarida la Taasisi ya Taaluma za Kiswahili, Juz77, Vol. 77, Dar es Salaam: Chuo Kikuu Cha Dar es Salaam, 2014, Uk. 66.

[16] Mohochi, Sangai. Mielekeo ya Wasomi wa kiswahili na Viongozi wa Afrika Mashariki Kuhusu Lugha ya Kiswahili. Swahili Forum, Vol. 18, 2011, Ku. 24-36.

[17] Mohammed, Nunuu Abdullah. Mgongano wa Matumizi ya Lugha Mbili Tanzania. op. cit. , Ku. 67-68.

[18] Ibid., Uk. 68.

[19] Ibid.

[20] Msanjila, Yohana P. Problems of Writing in Kiswahili: A Case Study of Kigurunyembe and Morogoro Secondary Schools in Tanzania. In Nordic Journal of African Studies, 14(1): Nordic Association of African Studies-NAAS, 2005, PP. 15-25.

[21] Mohammed, Nunuu Abdullah. Mgongano wa Matumizi ya lugha Mbili Tanzania. op. cit., Uk. 69.

[22] Ibid.

[23] Ibid.

[24] Ibid. Ku. 69-70.

[25] Ibid.

[26] Ibid. Ku. 70-71.

[27] Mekacha, R. Isimujanii: Nadharia na Muktadha wa Kiswahili. op. cit. Uk.222.

[28] Massamba, David. P.B. An Assessment of the Development and Modernization of Kiswahili in Tanzania. Coulmas, Florian (mh.) Language Adaptation, Cambridge: Cambridge University Press, 1989, pp. 60-78.

[29] Rugemalira, Josephat and Other. Reflections on Recent Development in Language Policy in Tanzania. Rubagumya, Casmir, M. (mh.), 1990, P. 26.

[30] Mulokozi, M.M. English Versus Kiswahili in Tanzania's Secondary Education. Blommaert, Jan, (mh.) Swahili Studies, Ghent: Academia Press, 1991, pp. 7-16.

[31] Mekacha, Rugatiri D.K. Kwa nini Bado Kiingereza ni Lugha ya Kufundishia Elimu ya juu Tanzania. Makala Katika Kioo cha lugha, Jarida la Kiswahili la Isimu na Fasihi. Juzuu1, N.2, Idara ya Kiswahili, Dar es Salaam: Chuo Kikuu cha Dar es Salaam, 1995, Uk. 28.

[32] Mulokozi, M.M. English Versus Kiswahili in Tanzania's Secondary Education. op. cit, PP. 7-16.

[33] Ibid.

[34] Mekacha, Rugatiri D.K. Kwa nini Bado Kiingereza ni Lugha ya Kufundishia Elimu ya Juu Tanzania. op. cit., Uk. 28.

[35] Ibid., Ku. 28-29.

[36] Ibid., Uk. 29.

[37] Mochiwa, Z. S.M. Kiswahili Kwa Kufundishia: Sera na Mikakati. op. cit., Uk. 57.

[38] Ibid.

[39] Ibid.

[40] Ibid., Ku. 57-58.

[41] Ibid., Uk. 58.

[42] Mochiwa, Z.S.M. "Bifocalism or Umforcalism in Education? A Critical Evaluation of Language Policy in Tanzania in Issues in Language and Education (ILE) #9. Boston: African Studies Center, Boston University, 1991, PP. 1-38.

[43] Mochiwa, Z. S.M. Kiswahili Kwa Kufundishia: Sera na Mikakati. op. cit., Uk. 58.

[44] Yoradi, S.Y. Lugha ya Kiswahili Katika Kufundishia na Kujifunzia Elimu Shule za Sekondari. Tasnifu ya Shahada ya Uzamili (MA. Kiswahili), Dar es Salaam: Kitivo cha Sanaa na Sayansi za Jamii, Chuo Kikuu Huria cha Tanzania, 2013, Uk. 59.

[45] Lunyana, N.M. Haja ya Lugha ya Kiswahili Kutumika Kufundishia Elimu ya Sekondari: Mifano Kutoka Wilaya ya Ilemela- Mwanza. Tasnifu Kwa Ajili ya Shahada ya Uzamili, Chuo Kikuu Huria cha Tanzania, 2015, Uk.63.

[46] Mekacha, Rugatiri D.K. Kwa nini Bado Kiingereza ni lugha ya kufundishia Elimu ya Juu Tanzania. op. cit. Ku. 35-36.

[٤٧]اللبودي على أمين: "ثورة زنزبار في الرواية السواحيلية دراسات معاصرة في التنمية وبناء القدرات"، نشرة علمية غير دورية محكمة تصدر عن برنامج

التدريب وبناء القدرات الإفريقية. جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٩م، ص ١٥.

[48] Massamba, David P.B. An Assessment of the Development and Modernization of Kiswahili in Tanzania. op. cit., pp. 60-78.

[49] Blommaert, Jan. Standardization and Diversification in Kiswahili: A Note on Language Attitudes. In Kiswahili, Jarida la Taasisi ya Taaluma za Kiswahili. Dar es Salaam: Chuo Kikuu Cha Dar es Salaam, 1990. PP. 22-32.

[50] Ibid.

[51] Mekacha, Rugatiri D.K. Kwa nini Bado Kiingereza ni Lugha ya Kufundishia Elinu ya Juu Tanzania. op. cit., Ku. 36-37.

[52] Ibid., Uk. 37.

[53] Yahya, Othman, Saida, na Herman Batibo. The Swinging Pendulum: English in Tanzania 1940-1990. Fishman, Toshua, A., Andrew W. Conrad and Alma Rubal – Lopez (wah.), 1996, P. 396.

[54] George, Susan. How the Other Half Dies: Real Reasons for World Hunger. Hammondsworth: Penguin Books Ltd, 1976, PP. 76-78.

[55] Mekacha, Rugatiri D.K. Kwa nini Bado Kiingereza ni lugha ya Kufundishia Elimu ya Tuu Tanzania. op. cit., Uk. 38.

[56] Mulokozi, M.M. English Versus Kiswahili in Tanzania's Secondary Education. op. cit., pp. 7-16.

[57] Ibid.

[58] Malekela, George. English as a Medium of Instruction in Post- Primary Education in Tanzania: Is It a Fair Policy to the Learner? Brock- Utne, Birgit, Zubeida Desai and Martah Qorro (eds). Language of Instruction in Tanzania and South Africa (LOITASA). Dar es Salaam: E and D Limited, 2003, PP. 102-112.

[59] Qorro, Martha. Unlocking Language Forts: The Language of Instruction in Post Primary Education in Africa with Special Reference to Tanzania. Brock- Utne, Birgit, Zubeida Desai and Martah Qorro (eds). Language of Instruction in Tanzania and South Africa (LOITASA). Dar es Salaam: E and D Limited, 2003, PP. 187-196.

[60] Kadeghe, Michael. In Defence of Continued Use of English as the Language of Instruction in Secondary and Tertiary Education in Tanzania. Brock- Utne,

Birgit, Zubeida Desai and Martah Qorro (eds). Language of Instruction in Tanzania and South Africa (LOITASA). Dar es Salaam: E and D Limited. 170-186.

[61] Masele, B. F. Y. P. Kiswahili au Kiingereza? Siasa na Lugha Muafaka ya Kufundishia Tanzania. Makala Katika Kioo cha Lugha, Jarida la Kiswahili la Isimu na Fasihi, Juzuu3, Idara ya Kiswahili, Dar es Salaam: Chuo Kikuu cha Dar es Salaam , 2005, Uk. 40.

[62] Ali, Hassan O na Rama Mwikalo. Kompyuta: Tifunze na lelewe. Ottawa: Commoners Publishing Inc., 2000, Uk. vii.

[63] Ibid.

[64] Wizara ya Elimu na Utamaduni: Sera ya Utamaduni. op. cit., Uk. 19.

[65] Mulokozi, M.M. Baadhi ya Vipingamizi vya Kiutawala vya Kutumia kiswahili Kufundishia Sekondari na vyuo. op. cit. Ku. 15-16.

[66] Qorro, Martha. Unlocking Language Forts: The Language of Instruction in Post Primary Education in Africa With Special Reference to Tanzania. op. cit., PP. 187-196.

[67] Masele, B. F. Y. P. Kiswahili au Kiingereza? Siasa na Lugha Muafaka ya Kufundishia Tanzania. op. cit., Uk. 41.

[68] Chachage, Chachage Seithy L. Makundi wa Soko Huria. Dar es Salaam: E and D Limited, 2002.

[69] Masele, B.F.Y.P. op. cit., Uk. 41.

[70] Ibid., Uk. 42.

[71] World Bank. The United Republic of Tanzania. Public Expenditure Review. Volume 1: Main Report, Report No. 19898, 1999, P. 29.

[72] Carnoy, Martin. Globalization and Educational Reform: What Planner need to Know. Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Unesco, 1999, PP. 58-59.

[73] Masele, B.F.Y.P. op. cit., Uk. 42.

[74] Ibid., Uk. 43.

[75] Mulokozi, M.M. Baadhi ya Vipingamizi vya Kiutawala vya Kutumia Kiswahili Kufundishia Sekondari na Vyuo. op. cit., Uk. 16.

[76] Ibid.

[77] Ibid., Ku. 16-17.

[78] Ibid., Uk. 17.

[79] Ibid., Ku. 17–18.

[80] Ibid., Uk. 18.

[81] Ibid., Ku. 18–19.

[82] Ibid., Uk. 19.

[83] Ibid.

[84] Ibid., Ku. 19–20.

[85] Ibid., Ku. 20–21.

[86] Ibid., Uk. 21.